تداعيات ثورة الامام الحسين عليه السلام على الاحداث في العصر الاموي

الأستاذ المساعد الدكتور
حاتم كريم جياد اليعقوبي
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

المقدمة:

تناول المؤرخون ثورة الامام الحسين عليه السلام باهتمام بالغ كونه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ولما احدثته هذه الثورة من تغييرات جوهرية في مسيرة التاريخ كان في مقدمتها انها عجّلت في سقوط الدولة الاموية عندما فتحت الباب على مصراعيه للمعارضين لسياسة خلفاء بني أمية ان يمارسوا حقهم في رفض الحكم الأموي، ولغرض معرفة مدى تأثير ثورة الامام الحسين عليه السلام في الأحداث التاريخية في العصر الاموي، جاء اختيار هذا الموضوع الموسوم ((تداعيات ثورة الامام الحسين عليه السلام في العصر الاموي)).

يتكون هذا البحث من تمهيد ومبحثين، التمهيد يتناول توضيحاً لمصطلح الثورة وبعض صفات يزيد بن معاوية على لسان بعض المؤرخين، والمبحث الاول يحمل عنوان (التداعيات الفكرية لثورة الامام الحسين) أما المبحث الثاني فيتطرق إلى: (التداعيات السياسية لثورة الامام الحسين).

يعتمد في اعداد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع كان من بينها كتاب أنساب الاشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ) وكتاب الأخبار الطوال للدينوري (ت٢٩٠هـ) وكتاب (تاريخ الرسل والملوك) للمؤرخ الطبري (ت٣١٠هـ) وكتاب (مروج الذهب) للمسعودي (ت٣٤٦هـ) والكامل في التاريخ لابن الاثير (ت٦٣٠هـ) وكتاب الامام الحسين - عملاق الفكر الثوري لمؤلفه الدكتور محمد حسين الصغير وكتاب (ثورة الامام الحسين) لمؤلفه محمد مهدي شمس الدين وكتاب (الثورات العلوية في العصر الاموي) للمؤلف عبد العزيز غنيم، وكان للشيخ باقر شريف القرشي رحمه الله كتاب بعنوان (حياة الامام زين العابدين) استفيد منه في البحث وغيرها من المصادر والمراجع.

التمهيد:

حاول المؤرخون القدماء والمحدثين التعمق في دراسة ثورة الامام الحسين عليه السلام من حيث الأسباب والمجريات والنتائج وشكلت كل مفردة من هذه المفردات الثلاث مادة بحث بذاتها تُرجمت من خلال كتب أو رسائل أكاديمية أو بحوث نشرت في مجلات عديدة.

من بين الأمور التي تثير الانتباه في هذه الدراسات هو ان البعض من كتب أطلقوا على ما قام به الامام الحسين عليه السلام مصطلح (الثورة) والبعض الآخر مَن أطلق مصطلح (النهضة)، ولو بحثنا في مصطلح الثورة في كتابات المهتمين بدراسة المصطلحات نجد ان الثورة تعني:

(تغيير أساسي في الاوضاع السياسية والاجتماعية يقوم به الشعب في دولة ما)[١].

وذكر في معنى الثورة أيضاً أنها: ((عملية استبدال سلطة؛ أي تغيير الحكام فقط))[٢].

وهناك رأي آخر في الثورة انها: ((كل تغيير ذريع يحدث في الانظمة السياسية لأمة من الأمم، وعلى هذا التعريف فمن الثورات ما حدث ببطىء وسلام، تحت تأثير التقدم العلمي والخلقي، ومنها ما حدثت فجأة عقب اضطرابات، وسفك دماء معقودة.....))[٣].

من خلال التعاريف السابقة يتضح ان ما أقدم عليه الامام الحسين عليه السلام هو ثورة بكل ما يعنيه هذا المصطلح، لأن الهدف من ثورته هو تغيير الوضع السيء والوقوف ضد مفاسد الحكم وانحرافاته والمتمثلة بشخص يزيد بن معاوية وولاته الذين تحكموا بمصائر المسلمين في الولايات الإسلامية على وفق ما تمليه عليهم مصالحهم ورغباتهم الخاصة ومن أجل التقرب من السلطان الجائر[٤].

وقد وردت كلمة (تغيير) على لسان الامام الحسين عليه السلام حينما خاطب أصحاب الحر الرياحي وهو في طريقه إلى كربلاء قائلاً لهم:

((أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم ((يغير)) بفعل، ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله))، الا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من ((غيّر)).....))[٥].

وعندما دعي الامام الحسين عليه السلام إلى بيعة يزيد، قال: ((انا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله)).

كان المغزى المهم لسيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام من ثورته هو إبطال إحدوثة الامويين والوقوف بوجه الافعال المشينة والفجور الظاهر والسياسة القاسية التي اتبعوها[٦]، وتحدث الاستاذ أحمد أمين عن الحكم الأموي قائلا:

((الحق ان الحكم الأموي لم يكن حكماً إسلامياً يسوي فيه بين الناس ويكافئ المحسن عربياً كان أم مولى ويعاقب المجرم عربياً كان أم مولى، وإنما الحكم فيه عربي والحكام خدمة للعرب وكانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية))[٧].

لقد نال الامام الحسين مبتغاه بثورته فقد فضح مجون يزيد ومن تبعه من قادة الشر وجراثيم الفتن فمجتهم الأسماع ولم يبق في المسلمين إلا من يرميهم بنظرة ازدراء، وتوقدت عليهم العزائم وتشابكت ايدي الصالحين من أجل الاجهاض على حكمهم وفعلاً هوى ملكهم الذي أسسوه على انقاض الخلافة الإسلامية[٨].

ولم يتوقف المؤرخون والعلماء عن ذم يزيد سواء كان ذلك في حياته أو بعد مماته فقال ابن خلدون:

((غلط القاضي ابو بكر ابن العربي المالكي إذ قال في كتابه (العواصم والقواصم): ((ان الحسين قتل بسيف شرعه غفلة عن اشتراط الامام العادل في الخلافة الإسلامية)) ومن أعدل من الحسين في زمانه وامامته وعدالته في قتال أهل الآراء))[٩].

قال المؤرخ الذهبي (ت٨٤٨هـ) في كتابه سير اعلام النبلاء:

((كان يزيد بن معاوية ناصبياً فظاً غليظاً جلفاً يتناول المسكر ويفعل المنكر))[١٠].

وذكر ابن تغري بردي: ((كان يزيد فاسقاً مدمن الخمر))[١١].

وقال ابو القاسم الزجاجي: ((كان يزيد بن معاوية ينادم (قرداً) فأخذه يوماً وحمله على اتان وحشي وشد عليها رباطاً وارسل الخيل في أثرها حتى حسرتها الخيل فماتت

الاتان)) فقال يزيد بن معاوية:

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس علينا ان هلكت ضمان

كما فعل الشيخ الذي سيقت به زياداً أمير المؤمنين أتان[١٢]

ويقول ابن مفلح الحنبلي: ((جوز ابن عقيل وابن الجوزي الخروج على الامام غير العادل بدليل خروج الحسين على يزيد لإقامة الحق وذكره ابن الجوزي في كتابه (السر المصون)، ومن الاعتقادات العامة التي غلبت على جماعة من المنتسبين إلى السنّة انهم قالوا كان يزيد على الصواب والحسين مخطئ في الخروج عليه، ولو نظروا في السير لعلموا كيف عقدت البيعة له والزام الناس بها ولقد فعل مع الناس في ذلك كل قبيح، ثم لو قدرنا صحة خلافته فقد بدرت منه بوادر ظهرت منه أمور كل منها يوجب نسخ ذلك العقد من نهب المدينة ورمي الكعبة بالمنجنيق وقتل الحسين واهل بيته وضربه على ثناياه بالقضيب وحمل رأسه على خشبة وانما يميل إلى هذا جاهل بالسيرة))[١٣].

وقال ابن حزم: قيام يزيد بن معاوية لغرض دنيا فقط فلا تأويل له وهو بغي مجرد[١٤].

ويقول الشوكاني: ((لقد أفرط بعض أهل العلم فحكموا بأن الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه باغ على الخمير السكير الهاتك لحرمة الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية لعنهم الله فيا للعجب من مقالات تقشعر منها الجلود ويتصدع من سماعها كل جلمود))[١٥].

لقد قال يزيد بن مسعود النهشلي مخاطباً أهل البصرة على اختلاف طبقاتها بعد موت معاوية بن أبي سفيان وتسلم يزيد السلطة:

((ان معاوية قد مات فاهون به والله هالكاً ومفقوداً الا وانه قد انكسر باب الجور والاثم وتضعضعت اركان الظلم وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظن انه قد احكمه، وهيهات الذي اراد، اجتهد والله ففشل وشاور فخذل، وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدعي الخلافة على المسلمين ويتأمر عليهم بغير رضا منهم مع قصر حلم وقلة علم لا يعرف من الحق موطئ قدمه))[١٦].

وقال المسعودي: ((كان يزيد صاحب طرب وجواري وكلاب وقرود ومنادمة على الشراب، وكان له قرد يكنى ابا قيس يحضر مجلس منادمته ويطرح له متكأ وهو قرد خبيث

يحمله على أتان[١٧].

وذكر ابن الطقطقي في كتابه الفخري في الآداب السلطانية ان يزيداً ابن معاوية كان يلبّس كلاب الصيد أساور الذهب والجِلال المنسوجة منه ويهب لكل كلب عبداً يخدمه، وقال أيضاً عنه: ((لقد كان يزيد بن معاوية موفور الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء))[١٨].

فكيف جاز لابن العربي ان يقول عن بيعة يزيد بأنها تمت وكملت له الشروط بإجماع أهل الحل والعقد ولم يظهر ما يشينه ويزري به[١٩].

من خلال ما تقدم وغيره، كيف يمكن للإمام الحسين عليه السلام ان ينضوي تحت حكم يزيد الفاجر ويبايعه، ولو كان قد بايعه فسوف يعطي لباقي المسلمين الشرعية في الاقدام على هذا الأمر، لذلك رفض بيعته وقام بثورته التي أشارت اليها المصادر التاريخية، ونجم عنها نتائج سياسية وفكرية يمكن اجمالها بالمبحثين الآتيين.

المبحث الأول

النتائج الفكرية لثورة الامام الحسين وفقا لما ورد في آراء بعض المؤرخين

أولاً: فضح الامويين وتحطيم الاطار الديني المزيف:

بفعل ثورة الحسين عليه السلام تكشفت للناس حقيقة النزعة الاموية المتسلطة على الحكم، ونسفت تضحيات الثائرين كل الأطر الدينية المزيفة التي استطاع الامويون من خلالها تحشيد الجيوش للقضاء على الثورة مستعينين بحالة غياب الوعي وشيوع الجهل الذي خلّفته السقيفة، ونلمس هذا الزيف في قول مسلم بن عمرو الباهلي يؤنب مسلم بن عقيل ربيب بيت النبوة والعبد الصالح لخروجه على يزيد الفاسق، ويفتخر بموقفه قائلاً ((أنا من عرف الحق إذ تركته، ونصح الأمة والإمام إذ غشته، وسمع وأطاع إذ عصيته))[٢٠].

وهذا عمرو بن الحجاج الزبيدي - من قادة الجيش الأموي - يحفز الناس لمواجهة الامام الحسين عليه السلام حين وجد منهم تردداً وتباطؤاً عن الأوامر قائلاً: يا أهل الكوفة إلزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام[٢١].

فالدين في دعوى الأمويين طاعة يزيد ومقاتلة الحسين عليه السلام ولكن حركة الإمام الحسين عليه السلام ورفضه البيعة وتضحياته الجليلة نبّهت الأمة، وأوضحت لها ما طُمس بفعل التضليل، فقد وقف الامام الحسين عليه السلام يخاطبهم، ويوضح مكانته في الرسالة والمجتمع الإسلامي: أمّا بعد فانسبوني، فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى انفسكم فعاتبوها وانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ الست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه(٢٢).

بالإضافة إلى كل الخطب والمحاورات التي جرت في وضع متوتّر حسّاس أوضح للناس مكانة طرفي النزاع، ثم ما آلت اليه نتيجة المعركة من بشاعة في السلوك والفكر فاتضحت خسّة الأمويين ودناءتهم ودجلهم وكان الأثر البالغ في مواصلة الثورة الحسينية بدون سلاح دموي حين واصلت العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين _ فضح الجرائم التي ارتكبها بنو أمية ومن ثم توضيح رسالة الامام الحسين - فإن جميع المسلمين متفقون - على اختلاف مذاهبهم وآرائهم - بأن الموقف الحسيني كان يمثل موقفاً إسلامياً شرعياً، وان يزيد كان مرتداً ومتمرداً على الإسلام والشرع الإلهي والموازين الدينية(٢٣).

كما أوضحت الثورة الحسينية للعالم فسق يزيد المسمى بأمير المؤمنين وشربه للخمور جهرة، ولهوه بالقردة والطنابير، ولعبه بالشطرنج وفضحت كذلك ما كان عليه ولاته وعماله وقادة جيوشه، اولئك الذين كانوا على شاكلته وأكثر إيغالاً في الجريمة والانحراف؛ إذ انهم لم يتورعوا عن ارتكاب أي جريمة وأي معصية لله مهما عظمت، واتباعهم الطرق اللاأخلاقية، والأساليب الوحشية في معركة الطف كالغدر، ومنع آل الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين من الرجال والنساء والاطفال وحتى الرضع من شرب الماء، والنهب والسلب، وقتل الاطفال، وحرق الخيام على النساء والاطفال، وأسر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وتسييرهن من بلد إلى آخر، بلا ستر ولا غطاء، وبهذا أصبح بفضل الثورة الحسينية العملاقة ظلمٌ وفسق، وانحراف الحاكم الاموي واضحاً للعيان، ولجميع المسلمين في الدولة الإسلامية(٢٤).

ثانياً: احياء الرسالة الإسلامية:

لقد كان استشهاد الامام الحسين - هزة لضمير الامة وعامل بعث لإرادتها المتخاذلة وعامل انتباه مستمر للمنحدر الذي كانت تسير فيه بتوجيه من بني امية ومن تبعهم من

الحكام الذين لم يحرصوا على وصول الإسلام نقياً إلى من يأتيهم من الأجيال، لقد استطاع سبط الرسول صلى الله عليه وآله ان يبين الموقف النظري والعملي الشرعي للأمة تجاه الانحراف الذي يصيبها حينما يستبدّ بها الطغاة، فهل انتصر الحسين عليه السلام في تحقيق هذا الهدف؟ لعلّنا نجد الجواب فيما قاله الامام زين العابدين عليه السلام حينما سأله ابراهيم بن طلحة بن عبد الله قائلاً: من الغالب؟ قال عليه السلام ((إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب))[٢٥].

ثالثاً: الشعور بالإثم وشيوع النقمة على الأمويين:

اشتعلت شرارة الشعور بالإثم في نفوس الناس، وكان يزيدها توهجاً واشتعالاً خطابات الامام علي بن الحسين - وزينب بنت علي بن ابي طالب وبقية أفراد عائلة النبي صلى الله عليه وآله التي ساقتها الطغاة الأمويون كسبايا من كربلاء إلى الكوفة فالشام فقد وقفت زينب عليها السلام في أهل الكوفة حيث اشتدوا يحدّقون في موكب رؤوس الشهداء والسبايا، ويكون ندماً على ما فرّطوا وما حصل لآل النبي صلى الله عليه وآله فأشارت اليهم أن اسكتوا فسكتوا فقالت أما بعد:

يا أهل الكوفة أتبكون؟ فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرّنة، إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ألا ساء ما تزرون اي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلا، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، فلن ترحضوها بغسل ابدا، وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبيين ومعدن الرسالة، ومدار حجّتكم ومنار محجتكم، وهو سيد شباب أهل الجنة؟[٢٦].

وتكلم علي بن الحسين عليه السلام فقال:

أيها الناس إناشدتكم الله، هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه واعطيتموه من انفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه؟ فتباً لكم لما قدمتكم لأنفسكم وسؤاة لرأيكم، بأي عين تنظرون إلى رسول الله إذ يقول لكم قتلتم عترتي، وانتهتكم حرمتي؟ فلستم من أمتي[٢٧].

روي أيضاً ان يزيد بن معاوية فرح فرحاً شديداً وأكرم عبيد الله بن زياد ولكن ما لبث أن وقع الخلاف بينه وبين ابن زياد حين علم بحال الناس وسخطهم عليه، ولعنهم وسبّهم[٢٨].

ومن النتائج التي تمخضت عن ثورة الحسين؛ بث عقدة الشعور بالاثم لدى أفراد أمة عرفت، ولم تقدم العون، وتعرف أنها على خطأ، لكن تغاضت حباً بالأموال والعطايا تارة، وحباً بالحياة الخاضعة تارة اخرى، وصفوة القول أن الخصائص العامة للعلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك في المجتمع تثبت وجود عمق التأثرات والانفعالات وخلوها من الاعتدال[٢٩].

فالفرد الذي وقف متفرجاً على مذبحة الحسين في كربلاء ولم يفعل شيئاً، انما يدل على انغماس الحدود بين الذات والاخر، فشعور المرء بالعجز عن تقديم أي شيء هو في أساسه إحساس بأن كيانه أصبح نهباً يغير عليه الآخرون متى شاءوا، انه شعور بالعجز وفي نفس الوقت بالاثم لدى من لا يقوى إلا على ان يكون مشاهداً محروقاً بفعل الخواء والضعف[٣٠].

رابعاً: احياء ارادة الأمة وروح الجهاد فيها:

كانت ثورة الامام الحسين عليه السلام السبب في احياء الارادة لدى الجماهير المسلمة وانبعاث الروح النضالية، وهزّة قوية في ضمير الانسان المسلم الذي ركن إلى الخنوع والتسليم، عاجزاً عن مواجهة ذاته ومواجهة الحاكم الظالم الذي يعبث بالأمة كيف يشاء، مؤطراً تحركه بغطاء ديني يحوكه بالدجل والنفاق، وبأيدي وعاظ السلاطين أحياناً واخرى بحذقه ومهارته في المكر والحيلة، فتعلم الانسان المسلم من ثورة الحسين - ان لا يستسلم ولا يساوم وانه يصرخ معبراً عن رأيه ورغبته في حياة أفضل في ظل حكم يتمتع بالشرعية أو على الأقل برضا الناس ونجد انطلاقات عديدة لثورات على الحكم الاموي وان لم يكتب لها النجاح، الا انها توالت حتى سقط النظام، ورغم ان أهدافها كانت متفاوته الا انها كانت تستلهم من معين ثورة الحسين - أو تستعين بالظرف الذي خلفته[٣١].

من ذلك ثورة التوابين[٣٢] التي كانت ردة فعل مباشرة للثورة الحسينية، وثورة المدينة[٣٣]، وثورة المختار الثقفي[٣٤]، الذي تمكن من محاكمة المشاركين في قتل الحسين - ومجازاتهم بأفعالهم الشنيعة وجرائمهم الفضيعة، ثم ثورة مطرف بن المغيرة، وثورة ابن الاشعث، وثورة زيد بن علي ابن الحسين -[٣٥] وثورة ابي السرايا[٣٦].

لقد أحيت الثورة الحسينية روح الجهاد وأججتها، وبقي النبض الثائر في الأمة حياً رغم توالي الفشل اللاحق ببعض تلكم الثورات الا ان الامة الإسلامية أثبتت حيويّتها وتخلصت

من المسخ الذي كان يطيح بها بأيدي الأمويين وأسلافهم[٣٧].

خامساً: تحفيز الروح القتالية.

كانت ثورة الحسين السبب في تحفيز القدرات القتالية في الانسان المسلم من جديد بعد فترة طويلة من الخمول والتسليم. ولقد كانت الآفات النفسية والاجتماعية تحول بين الانسان المسلم وبين ان يناضل عن ذاته وعن انسانيته فجاءت ثورة الحسين وحطمت كل حاجز نفسي واجتماعي يقف في وجه الثورة، فكان الاطار الديني الذي أحاط به الامويون حكمهم العفن الفاسد يحول بين الشعب وبين ان يثور فجاءت ثورة الحسين وحطمت هذا الاطار، وكشفت الحكم الاموي على حقيقته، فإذا هو حكم جاهلي لا ديني، لا إنساني مما يتطلب الثورة عليه واقصائه[٣٨].

كانت المسلمات الاخلاقية تحول بين الانسان المسلم وبين ان يثور، كانت قوانينه الأخلاقية تقول له: حافظ على ذاتك، حافظ على عطائك، حافظ على منزلتك الاجتماعية فجاءت ثورة الحسين، وقدمت للإنسان المسلم أخلاقاً جديدة تقول له: لا تستسلم، لا تساوم على انسانيتك، ناضل قوى الشر ما وسعك، ضح بكل شيء في سبيل مبدئك فكان الرضا عن النفس يحول بينه وبين ان يثور، ويغريه بالقعود عن النضال فجاءت ثورة الحسين وخلفت في أعقابها جماهير كثيرة، شعور بالإثم، وتأنيباً للنفس، وبرماً بها، ورغبة عارمة في التفكير[٣٩].

كانت كل هذه الاسباب تحول بين الناس وبين الثورة فجاءت ثورة الحسين ونسفت هذه الاسباب كلها، وأعدت الناس إعداداً كاملاً للثورة، وللروح النضالية شأن كبير وخطير في حياة الشعوب وحكامها فحين تكون الروح النضالية هامدة، وحين يكون الشعب مستسلماً لحكامه يشعر حكامه بالأمان، فيفعلون كل شيء ويرتكبون ما يشاؤون دون ان يحسبوا حساب أحد[٤٠].

لقد كان الامام علي عليه السلام حريصاً على ان تبقى روح النضال حية نامية في الشعب لتبقى للشعب القدرة على الثورة حين تدعو الأحوال للثورة، وتشهد لذلك هذه الكلمة التي قالها وهو على فراش الموت من جملة وصيته:

"لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه"[٤١].

ولكي نخرج بفكرة واضحة عن مدى تأثير ثورة الحسين في بعث روح الثورة في المجتمع الإسلامي حيث ان هذا المجتمع أخلد إلى السكون عشرين عاماً كاملة قبل ثورة الحسين فلم يقم خلالها بأي ثورة على توفر الدواعي إلى الثورة خلال هذه الاعوام الطوال منذ قتل امير المؤمنين علي عليه السلام، وغدا أمر الحكم للأمويين خالصاً إلى حين ثورة الحسين لم يقم في هذا المجتمع أي احتجاج جدي جماعي على ألوان الاضطهاد والتقتيل وسرقة أموال الأمة التي كان يقوم بها الأمويون وأعوانهم(٤٢).

عشرون عاماً مرت على هذا المجتمع من سنة أربعين إلى سنة ستين للهجرة، وهذه هي حالته، وتغيرت هذه الحالة بعد سنة ستين بعد ثورة الحسين فقد بدأ الناس تثور، وبدأت العامة ترقب زعيماً يقودها، هي مستعدة للثورة، وللتمرد على الأمويين في كل حين، ولكنها تحتاج إلى قائد، وكلما وجد القائد وجدت الثورة على حكم الامويين(٤٣).

التمرد الوحيد الذي كان يصادفه الأمويون طيلة هذه العشرين عاماً، وعلى فترات متعاقبة، هو تمرد الخوارج، فلم يكن متجاوباً مع المجتمع الإسلامي ولم يكن ناجحاً، وكانت السلطة تقمعه بجيوش تؤلفها من سكان البلاد التي ينجم التمرد فيها، ولكن ما حدث بعد ثورة الحسين كان شيئاً آخر، كان تمرد يحظى بعطف المجتمع الإسلامي كله، من شارك فيه ومن لم يشارك وكانت أسبابه بعيدة عن تلك التي تدفع الخوارج إلى الثورة، كانت أسباباً تنبع من واقع المجتمع: من الظلم، والاضطهاد والتجويع(٤٤).

لم يتمكن الحكام الأمويون من قمع هذه الثورات بجيوش من سكان المناطق الثائرة، فقد كانوا يعرفون ان ثمة تجاوباً نفسياً بين الثائرين وبين القاعدين، فاضطروا إلى قمع هذه الثورات بجيوش أجنبية عن مناطق الثائرين، اضطروا إلى جلب جيوش سورية، وإقرار حاميات دائمة في مراكز الحكم(٤٥).

سادساً: ظاهرة الندم والحسرة:

بدأت هذه الظاهرة بعد مصرع الحسين مباشرة، وتتمثل في حياة أولئك الذين أتيحت لهم نصرة الحسين وأحجموا منها، وسنحت لهم فرصة الالتحاق به فأعرضوا عنها، ، فهم في عناء مستمر، وكابوس لا يرفع، إذ رأوا نهج الحسين السافر في إرادة التغيير الانساني، فلم يقتفوا أثره بعد ان سمعوا بأنباء مذبحة كربلاء، فأنبتهم الضمائر كونهم سالمين وادعين وكون

أبناء رسول الله مجزرين في سبيلهم كالأضاحي(٤٦).

وقد تتعدى هذا البعد، فتتحول إلى لوعة لاذعة في قلب كل مؤمن يرى الحسين أضحية في مجزرة الكرامة، ولم يتسنى له مشاركته في مصابه، ولم يكن من المستشهدين بين يديه، فكم من دمعة انصبت من العيون قبل الأسارير بحرارتها، وكم من متطلع لنصرة الحسين وهو عند مصرعه في عالم الذرّ من الأرحام وأصلاب الرجال(٤٧).

فهناك ظاهرة اجتماعية بدأت عند مصرع الحسين، من قبل أولئك الذين شهدوا الواقعة وضنوا بأنفسهم عن المشاركة الفاعلة فيها، ولا يمكننا استيعاب هذه الظاهرة بجميع رجالها وأبعادها، وبالإمكان الاشارة إلى تعلّقها بصميم الضمير الانساني متمثلة بنموذج صارخ من نماذجها في حسرته ولوعته ومرارته وهو عبيد الله بن الحر الجعفي(٤٨).

فقد كان هذا الشاعر الفارس المتمرد معتزلاً للحياة السياسية بعد اكتوائه بنارها في مسيرة حياته، وضرب له خباء في الصحارى عند قصر بني مقاتل وغاص في أثياج البيد والمفاوز مخافة ان يدعوه الحسين إلى نصرته، وبتعبير أصح أنه قد فرّ بنفسه عن المعترك السياسي خشية ان يلجأه بنو أمية لقتال الحسين، وخشية ان يدعوه الحسين إلى قتال بني أمية، وقد سولت له بدويته هذا الاتجاه الغريب، فأراد ان يكون حيادياً لا مع هؤلاء ولا مع أولئك، أو متذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء(٤٩).

وتشاء الأقدار ان يدركه الامام الحسين في خبائه أو مخبأه، وان يدعوه إلى نصرته فيجد عنده تلكؤاً فاضحاً، وعذراً باهتاً، فيقوم عنه الحسين كارهاً لاعتذاره، رافضاً لما يتعلل به حتى إذا استشهد الحسين عليه السلام في كربلاء وتناهت أبناء المجزرة إلى عبيد الله، فاضت نفسه بالحسرات، واصطدم بالندم القاتل يلفّه من قرنه إلى قدمه، وإذا به يغص بريقه، ويتجرع مرارة تلهفه حتى ليكاد ينفلق قلبه غيضاً وكمداً، فعبّر عن أزمته النفسية بشعره(٥٠) قائلاً:

فيا لكِ حسرةً ما دمت حياً	تردد بين حلقي والتراقي
حسين حين يطلب بذل نصري	على اهل العداوة والشقاق
فما انسب غداة يقول حزناً	أتتركني؟ وتزمع لانطلاق
فقول فلق التلهف قلب حي	تهمَّ القلب مني بانفلاق(٥١)

إن هذا التوتر الحزين في هذه الأبيات يصدر عن شعور حافل بالذنب، ويعبّر عن تقصير لا يمكن تلافيه إلا بحسرات متلاصقة يتبع بعضها بعضاً، وها هي اطباق حسرته تطبق على مراحل حياته حتى يهم قلبه بالانفلاق!!. وهو في هذا الغليان النفسي، صادقٌ في عواطفه ما لا يعرف النفاق ولا المراءات وانما ينطلق في التعبير عنها كما ينطلق في غزواته، فإذا النغم صدى صادق صريح لمشاعره ونفسيته، انه لا ينكر انه تخلّى عن الحسين حين طلب اليه ان يبذل له نصره، ولا يخشى ان يصف أعداءه من الأمويين بأنهم أهل العداوة والشقاق، ولكنه يتحسر على ذلك حسرة يوشك ان تفلق قلبه القوي...[٥٢].

ولم يقف عبيد الله بن الحر الجعفي الكوفي عند هذا المدى في آهاته وحسراته بل تجاوزه إلى النقمة الصريحة على الحكم الاموي وولائه، فقد اشتدت الأزمة النفسية لديه، واستولى الندم على مشاعره، وضاق ذرعاً بابن زياد وأعوانه، فترك أطراف الكوفة، واتجه إلى كربلاء، ووقف عند مصارع الحسين والشهداء، يندبهم ويستغفر لهم[٥٣].

ويمضي في جماعة من صعاليك الكوفة إلى المدائن، مبتعداً عن ابن زياد ورافضاً له وهناك يواصل الندم والحسرة، كما يواصل السخط على الأمويين، ولم يتحرج بأن يصفهم وولاتهم بالغدرة الظالمة، ولم يستبعد على نفسه محاربتهم بما يستطيع، فيقول[٥٤]:

يقول أميرٌ غادرٌ وابن غادر	ألا كنت قاتلت الحسين ابن فاطمة
ونفسي على خذلانه واعتزاله	وبيعة هذا الناكث العهد لائمه
فيا ندمي ان لا أكون نصرته	ألا كل نفسي لا تسدد نادمه
وأني لأنّي لم أكن من حماته	لذو حسرة ما إن تفارق لازمه
سقى الله أرواح الذين تبادروا	إلى نصره سحاً من الغيث دائمه

هذه القصيدة بشجاعتها وأصالتها وشاعريتها تصور إلى جانب الخيبة النفسية التي مر بها الشاعر مدى الألم والأسى الذي أصاب المسلمين بقتل الحسين وآله وأصحابه، وفيها ضروب من النقمة على الحكم، وفيها تعبير عن الوالي والخليفة بأنه غادر وابن غادر، وأنه يتودد الناس في حين أرغم الناس على قتل الحسين، فعادوا بين ناقم وناقمة، وهي صورة تعبر عن هدى مزدوج يحمل روح الندم، وقد يلوّح إلى امكانية الثأر[٥٥].

فلقد أصبح كثير ممن تخلّف عن نصرة الامام الحسين عليه السلام سواء أكان قاصراً أم مقصراً في تخلفه، أصبح يشعر بالندم الشديد، ووخز الضمير على تخلّفه وعدم التحاقه بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا الشعور وضع الكثيرين من المتخلفين عن ركب الثورة إلى الانتقام من الأمويين، بسلسلة من الانتفاضات المتلاحقة، أخمدها الأمويون، ولكن شعور الحقد عليهم لا يمكن ان يخمد والغليان الانتقامي بقي متأججاً في النفوس التي تيقظت، ووعت مدى عظم جرائم السلطة -آنذاك - واستهتارها بالمسلمين وبمقدساتهم الإسلامية(٥٦).

سابعاً: الشعر العربي في رثاء الحسين:

هناك ظاهرة أخرى جديرة بالبحث الموضوعي، وهي ذات أثر اجتماعي سيرته ثورة الامام الحسين طيلة عصور الأدب العربي، هذه الظاهرة تتمثل بهذا السيل الجارف من الشعر الذي رثي به الحسين وآله وأصحابه، منذ استشهادهم على ثرى الطف حتى اليوم، فكانت ثورة الحسين مادة خصبة استطاع أدباء الشيعة المتأخرون ان يستغلوها في فنهم استغلالاً واسعاً أمدّ الادب الشعبي بثروة ضخمة من القصائد الطويلة(٥٧).

لقد كان مجرد ذكر الحسين عليه السلام بعد مجزرة الطف، يعدّ بملحظ سياسي تحدياً سافراً لنظام الحكم، ودعوة للإطاحة به، فهو يرعب الطغاة، ويدخل الذعر بين صفوف أوليائه، بل هو يقيهم ويقعدهم منذ مصرعه حتى العصر الحاضر. فمن البديهي إذن ان نرى برثاء الحسين - موقفاً جريئاً حاسماً، يعبر عن صرامة الشاعر وشجاعته ويصور عدم مبالاته بالأرزاء المترتبة على ذلك، ومنها قطع الأعناق، ومنح العطاء، وإباحة الدماء، وتضييع الأهل والعشيرة لهذا كان من رثاه عند مصرعه قلة نادرة من الشعراء، وقد يكون هناك من الشعر ما ظل مكتماً لا يذاع، وهذا النوع هو الأصل في القصائد (المكتّمات) في الشعر(٥٨).

فما قاله "التيمي تيم مرّة" يرثي الحسين وأهله، وكان منقطعاً لبني هاشم:

مـــررت علـــى أبيـــات آل محمـــد	فلـــم أرهـــا أمثلـــها يـــوم حُلـــت
فـــلا يُبعـــد الله الـــديار وأهلـــها	وإن أصـــبحت مـــن أهلـــها قـــد تخلـــت
وإنـــه قتيـــل الطـــف مـــن آل هاشـــم	أذل رقـــاب المســـلمين فـــذلت
وكـــانوا رجـــاء ثم اضـــحوا رزيـــة	لقـــد عظمـــت تلـــك الرزيـــا وجلـــت

وعنـــد (غـــنيٍّ) قطـــرةٌ مـــن دمائنـــا ... ســـنجزيهم يومـــاً بهـــا حيـــث حلـــت
إذا افتقـــرت قـــيس جبرنـــا فقيرهـــا ... وتقتلنـــا قـــيس إذا النعـــل زلّـــت[٥٩]

إن أول شعر رثي به الحسين بن علي - هو قول عقبة بن عمرو السهمي، من بني سهم ابن عوف بن غالب؛ قال[٦٠]:

إذا العـــين قـــرت في الحيـــاة وأنـــتم ... تخـــافون في الـــدنيا.. فـــأظلم نورهـــا
مـــررت علـــى قـــبر الحســـين بكـــربلا ... ففـــاض عليـــه مـــن دمـــوعي غزيرهـــا
ومـــا زلـــت أبكيـــه، وأرثـــي لشـــجوه ... ويســـعد عـــيني دمعهـــا وزفيرهـــا
ونـاديـت مـن حـول الحسـين عصـائباً ... أطافـت بـه مـن جانبيـه قبورهـا
ســـلام علـــى اهـــل القبـــور بكـــربلا ... وقـــلّ لهـــا مـــني ســـلام يزورهـــا
ســـلام بآصـــال العشـــي وبالضـــحى ... يؤديـــه نكبـــاء الريـــاح ومورهـــا
ولا بـــرح الـــزوار زوار قـــبره ... يفـــوح علـــيهم مســـكها وعبيرهـــا

بيد ان السيد الأمين رحمه الله يعقب على هذه الأبيات بالقول:

"وينبغي أن يكون أول من رثاه سليمان بن قتة العدوي التيمي، وكان منقطعاً إلى بني هاشم، فإنه مرّ بكربلاء، بعد قتل الحسين بثلاث، فنظر إلى مصارعهم، واتكأ على فرس عربية له، وأنشأ تلكم الأبيات السابقة"[٦١].

حتى إذا كانت ثورة التوابين، وجدنا شاعرها عبد الله بن عوف الأصمر الأزدي يرثي الحسين بقصيدة طويلة يحضّ بها الشيعة على الطلب بدمه، وكانت هذه المرثية تخبأ أيام بني أمية، وإنما خرجت بعد ذلك[٦٢].

ويبدأ ابن الأصمر مرثيته بروح ثورية لا عهد بها للشعر العربي إلا لماماً، فهو يودع الصبا، ويلبّي الداعي، ويجيب المنادي في الدعوة إلى الهدى، ويصحو من السبات أو الغفلة على صدى هذا النداء، فيقول[٦٣]:

صـــحوت وودعـــت الصـــبا والغوانيـــا ... وقلـــت لأصـــحابي أجيبـــوا المناديـــا
وقولـــوا لـــه قـــام يـــدعو إلى الهـــدى ... وقبـــل الـــدُعاء: لبيـــك لبيـــك داعيـــا

يسترج الشاعر في هذه القصيدة الرائعة حقاً، ذكر صفّين، ومقارعة معاوية، للدلالة على الحقد القديم المتأصل، وللإشارة إلى الصراع التاريخي بين الأمويين والهاشميين ثم يستدر الدموع ليل نهار على الحسين، وينعي على من أشخصه النكوص، فلم يرَ منهم وفياً ولا زاجراً ولا ناهياً، ويتمنى شهوده معركته ليطاعن الشائين، ويحارب الاعادي، ويدافع ما وسعه الدفاع، مجاهداً دونه، ضرباً بالسيف وطعناً بالرمح(٦٤).

لقد رأينا حقاً ان شعراء العربية في عصور الأدب العربي المختلفة تصور مصرع الحسين تصويراً متشعباً في مختلف الشؤون العاطفية والسياسية والثورية والعقائدية، لأنه يستوعبها أجمع، وظل الصدى الحزين يرفد هذا الشعر قوة ومتانة وشدة أسر، فبدأ الهيكل الفني للقصيدة الحسينية يأخذ طابعه التكاملي في عصر سيدنا ومولانا الامام جعفر بن محمد الصادق (٨٣-١٤٨هـ) حيث كان يقوم في توجيه ذلك جماعياً، بل ويدعو اليه دلالياً وايحائياً:

(ما من أحد قال في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى إلا أوجب الله له الجنة، وغفر له)(٦٥).

كان قوله هذا لجعفر بن عفّان أحد شعراء عصره، عندما دخل عليه، فقال له الامام الصادق - "بلغني انك تقول الشعر في الحسين - وتجيد فقال: نعم جعلت فداك، فاستنشده، فأنشده:

لبيك على الإسلام من كان باكياً	فقد ضيعت أحكامه وأستُحلت
غداة "حسين" للرماح دريئة	وقد نهلت منه السيوف وعلت
وغودر في الصحراء، لحماً مبدداً	عليه عناق الطير باتت وظلت
الا بل محوا أنوارهم بأكفهم	فلا سلمت تلك الأكف وشلت
وناداهم جهداً بحق محمد	فإن ابنه من نفسه حيث حلت

فبكى الامام الصادق - وبكى من حوله، حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته، وقال: والله لقد شهدت ملائكة الله المقربون ههنا يسمعون قولك في الحسين - ولقد بكوا كما بكينا أكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك في ساعتك الجنة بأسرها، وغفر الله لك، ثم قال: ألا أزيدك؟ قال: نعم، فقال الصادق "ما من أحد قال في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى به، الا أوجب الله له الجنة، وغفر له"(٦٦).

وهنا لابد من القول ان دعبل بن علي الخزاعي، كان يمثل دور الريادة في الرثاء الفني لسيد الشهداء الامام الحسين - ويستوعب في ذلك الغرض من وجوه عدة، فهو يبكي ويستبكي، ويندب ويطلب الندبة، ويصوّر فيحسن التصوير، ويتظلم فيجيد عرض الظلامة، بما يمكن ان نعتبره في هذا مؤسساً لأصول الرثاء الحسيني في جوانبه كافة، ولا أدل على هذا الزعم من قصيدته التائية الشهيرة، فقد هنأ الامام علي بن موسى الرضا - بولاية عهد المأمون عام ٢٠٠هـ معرج على الحسين[٦٧] وقال:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً ... وقد مات عطشانا بشط فرات

إذن للطمت الخد فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات

أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي ... نجوم سماوات بأرض فلاة

فيا عين بكيهم وجودي بعبرة ... فقد آن للسّكاب والهملات[٦٨]

ثامناً: أعادت الثورة إلى الأمة شخصيتها:

أعاد الامام الحسين - بثورته المباركة إلى الأمة شخصيتها، وعزتها، ومثلها العليا التي جاء بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وثقتها بربها، وبرسالتها، أعاد اليها ثقتها بنفسها، حين استهان هو، وصحبه الأبرار بالموت، صارخاً بالمنحرفين "إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا تبرماً"[٦٩] تالياً أبيات الأوسي التي أكد فيها على الشهادة:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً

وواسى رجالاً صالحين بنفسه ... وخالف مثبوراً وفارق مجرما

فإن عشت لم أندم وان مت لم ألم ... كفى بك ذلاً ان تعيش ومرغما

فلا عهد لذلك المجتمع آنذاك بمثل هذه الروح الكبيرة التي تأبى الذل والهوان تلك الروح التي جاءت بها الثورة الحسينية العظيمة، والتي أعادتهم إلى أصولهم حينما برهنت لهم عملياً بأن الإسلام دين الاباء والجهاد والتضحية، دين الشجاعة والبطولة في ميادين جهاد الكفر[٧٠].

المبحث الثاني

التداعيات السياسية لثورة الامام الحسين

ثورة المدينة:

كانت ثورة المدينة رد فعل قوي لمقتل الحسين، إلا اننا هنا نشاهد لوناً آخر من الثورات، ثورة تختلف عن ثورة التوابين في الدوافع والأهداف، لقد كانت الدوافع إلى هذه الثورة شيئاً غير الانتقام، كانت ثورة تستهدف تقويض سلطان الأمويين الظالم الجائر البعيد عن الدين(٧١).

كان الوعي السياسي الذي خلفته الثورة يتدافع في ضمائر الناس، وكان الشعور والذنب الكبير في خذلان الحسين يتردد على شفاه القوم، وكان الظلم العاصف بكل المقدرات تضيق به نفوس الرافضين، هذه العوامل الشاخصة نسفت كل معوقات التردد، وحطمت حواجز الخوف والاستكانة، وحيرت المجتمع في فضائله مهيأ للثورة(٧٢).

والذي أجج شعلة الثورة أسباب منها مقتل الحسين، ولعله كان أهمها، فإن زينب بنت علي عليها السلام، دأبت بعد وصولها إلى المدينة على العمل للثورة، وعلى تعبئة النفوس لها وتأليب الناس على حكم يزيد، لقد خاف عمرو بن سعيد الأشدق والي يزيد على المدينة انتفاض الأمر فكتب إلى يزيد عن نشاطها كتاباً قال فيه:

"ان وجودها بين أهل المدينة مهيج للخواطر، وانها فصيحة، عاقلة، لبيبة، وقد عزمت ومن معها على القيام للأخذ بثأر الحسين"(٧٣) فأتاه كتاب يزيد بأن يفرق بينها وبين الناس(٧٤).

كان السبب المباشر لاشعال الثورة هو وفد أهل المدينة إلى يزيد، فقد أوفد عثمان بن محمد بن أبي سفيان والي المدينة إلى يزيد وفداً من أهلها، فيهم عبد الله بن حنظلة الانصاري غسيل الملائكة، وعبد الله بن ابي عمرو بن حفص ابن المغيرة المخزومي والمنذر ابن الزبير، ورجالاً من أشراف اهل المدينة(٧٥).

قدموا على يزيد، فأكرمهم، واحسن اليهم وأعظم جوائزهم فلما رجعوا قدموا المدينة كلهم، إلا المنذر ابن الزبير، فإنه قدم العراق، فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينة قاموا

في اهل المدينة، واظهروا شتم يزيد وعيبه، وقالوا "قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الخراب - وهم اللصوص - وانا نشهدكم انا قد خلعناه"(٧٦).

كان هذا الاعلان بمثابة الثورة المسلحة ضد النظام ولقد مهد هذا الاعلان للتذمر والكراهية من النظام واليه فأزاد عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة في اثارة الاحساس حينما قال:

"جئتكم من عند رجل لو لم أجد إلا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطاني وأكرمني وما قبلت عطاءه إلا لأتقوّى به"(٧٧).

فخذله الناس، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل، على خلع يزيد، وولوه عليهم وأما المنذر بن الزبير، فقدم المدينة فكان ممن يحرض الناس على يزيد، وقال: "إنه قد أجازني بمائة الف، ولاه يمنعني ما صنع بي ان اخبركم خبره، واصدقكم عنه: والله انه ليشرب الخمر، والله انه ليسكر حتى يدع الصلاة"(٧٨).

وثارت المدينة على الحكم الاموي وطرد الثائرون عامل يزيد والأمويين، وقدرهم ألف رجل، ولم ينفع الوعد ولا الوعيد في ردهم عن ثورتهم، فقمعت الثورة بجيش من الشام بوحشية متناهية، ودعا القائد الاموي مسلم بن عقبة المري، الناس للبيعة على انهم خول ليزيد بن معاوية، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ما شاء(٧٩).

وهلك يزيد، وقد باشر جيشه بقمع ثورة ابن الزبير في قلة، بعد ان فرغ من قمع ثورة المدينة، وكان ابن الزبير قد أعلن الخلاف بعدما بلغه مقتل الحسين، ولا يمكن ان نعتبر ثورة ابن الزبير امتداداً لثورة الحسين، وانما كان يعد العدة للثورة قبل مقتل الحسين، وكانت أطماعه الشخصية في الحكم هي بواعثه على الثورة(٨٠).

أصبحت المدينة المنورة في حالة يرثى لها تمزيقاً وتفريقاً وتقتيلاً، بما يسميه المؤرخون (وقعة الحرّة) وكانت أحداثها قد جرت يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة، سنة ثلاث وستين من الهجرة(٨١).

أنزلت المدينة على حكم عسكري عرفي، وكانت قوة الجيش لا تدانيها قسوة أعتى

الجيوش المتفرعنة في العالم، واستبيحت المدينة استباحة روّع لها التاريخ في ذكرياته وهي ثورة دينية خالصة، ثأرت لكرامة الانسان المسلم، وانبعثت من أجل تغيير النظام الكافر الجائر، استجاب لها أهل المنازل والحرم، قامت بها طائفة من صالحي المسلمين اعزازاً للإسلام، وأغفل التاريخ حقائق من جوانبها المضيئة، وغطى على كثير من أهدافها النبيلة(٨٢).

ثورة التوابين:

كان لمجزرة كربلاء جذوتها الخلاّقة في إذكاء روح النضال، وكان لها الأثر النفسي في ابداء مشاعر الندم لدى الكثيرين، فعند مقتل الحسين، وعودة ابن زياد من معسكره في النخيلة مباشرة "تلاقت الشيعة بالتلاوم والندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة، وتركهم إجابته، ومقتله، إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه"(٨٣).

بهذا الشعور المتفجر بدأ تفكير التوابين بالثورة المسلّحة ضد النظام الأموي أخذاً بثأر الحسين، وتكفيراً عن الذنب، ففزعوا إلى خمسة نفر من زعماء الشيعة في الكوفة وهم: سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجية الفزاري، وعبد الله بن سعد بن نفل الأزدي، وعبد الله بن وائل التميمي، ورفاعة بن شدّاد البجلي، واجتمعوا بهم يتلاومون على خذلانهم الحسين، وتداولوا أمر الثورة انتقاماً له، وبدأ المسيب بن نجية القول، فقال "لقد ثنا مغرمين بتزكية أنفسنا، وتقريظ شيعتنا حتى بلا الله خيارنا فوجدنا كاذبين في موطنين من مواطن ابن بنت نبينا صلى الله عليه وآله وقد بلغتنا كتبه، وقدمت علينا رسله، واعذد الينا يسألنا نصره عوداً وبدءاً، وعلانية وسراً، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بألسنتنا، ولا قويناه بأموالنا، فما عذرنا عند ربّنا، وعند لقاء بيننا؟ لا والله لا عذر دون ان تقتلوا قاتليه والموالين عليه، أو تُقتلوا في طلب ذلك، فعسى ربّنا ان يرضى عنّا عند ذلك"(٨٤).

وفي هذا الخطاب اعتراف كئيب بالتقصير، وفيه تعبير قائل عن الندم، وفيه حقيقتان أخريان، الأولى: حقيقة التواكل والخذلان عند الناس لدى قدوم الحسين. والثانية: حقيقة الاعلان عن حتمية الثأر للحسين من قاتليه، أو القتل دون ذلك(٨٥).

ثم خطب سليمان بن صرد الخزاعي قائلاً "إنّا كنّا نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبينا، ونمنيهم النصر، ونحثهم على القدوم، فلما قدموا ونينا، وعجزنا، وادّهنا وتربّعنا، وانتظرنا ما يكون، حتى قتل فينا ولد نبينا، وسلالته، وبضعة من لحمه ودمه...ألا انهضوا، فقد سخط ربكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء، حتى يرضى الله، وما أظنه راضياً حتى تناجزوا من قتله[٨٦].

ألا لا تهابوا الموت، فوالله ما هابه امرؤ قط إلا ذلّ، كونوا كالأول من بني اسرائيل، إذ قيل لهم نبيهم: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ...﴾[٨٧][٨٨].

كان خطاب سليمان أكثر صراحة، وأشد إفحاماً، واظهر ايضاحاً لعوامل التقصير والتواكل، وابرع إبانة لظروف التمهل والانتظار حتى قتل الحسين وكان الخطاب ثورياً إذ دعا إلى وداع الحلائل والابناء ومناجزة قتلة الحسين حتى القتل[٨٩].

تمخض التوابون لإعداد الثورة بجدّية وإصرار، وأخلصوا في العمل إلى الأخذ بثأر الحسين، وجمعوا آلة الحرب والسلاح، وحصّنوا أنفسهم وأهليهم ودعاتهم بجميع التبرعات والأموال من الموالين للثورة، وعهدوا بها إلى أحد زعمائهم كأمين لبيت مال الثورة، وبثوا الدعاة هنا وهناك يستميلون الناس، ويكسبونهم، ويتحدثون اليهم بأهداف الثورة، وكان شعارهم الذي أعلنوه فيما بعد يا لثارات الحسين[٩٠].

لم تكن حركة التوابين هذه مقتصرة على الكوفة وحدها، وما فيها من ثقل كبير لشيعة الحسين، بل تخطّت حدودها الجغرافية إلى المدائن والبصرة، فكتب قادة الثورة إلى سعد بن حذيفة بن اليمان ومن قبله من المسلمين في المدائن، فاستجابوا سراعاً في الانضمام إلى الحركة وكتب سليمان بن صرد إلى المثنى بن مخرمة العبدي وأتباع أهل البيت في البصرة، فلبّوا النداء، وأجابوه إلى الثورة وبذلك تكون الحركة قد استقطبت العراقيين والمدائن، فنشطت بذلك دعوتهم، وترسخ شعارهم، واشتدت شوكتهم وبموت يزيد بن معاوية - وهم بمثل هذا التجمع - سنة أربع وستين من الهجرة[٩١].

فيثب الثائرون على عمرو بن حريث نائب ابن زياد على الكوفة، فيخلعونه ويخرجونه من القصر بعنف، ويصطلحون على عامر بن مسعود[٩٢].

وتأخذ حركة التوابين بالنهوض إلى العلنية تدريجياً، ويفترق الناس في الأحياء بالدعوة اليها جهاراً، فاستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد بن معاوية أضعاف من كان استجاب لهم قبل ذلك[٩٣].

تنفيذ خطة الثورة:

تكامل الإعداد العسكري والبشري لثورة التوابين فأصحروا بها معلنين ليلة الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الاول سنة خمس وستين، وخرجوا في أربعة آلاف، بعد ان بايع لها ستة عشر ألفاً، وتلاقوا بالنخيلة[٩٤].

وتوجه الجمع المقاتل إلى قبر الحسين عليه السلام وقد تخلف عنهم أصحاب الهمم الواهنة، فلما وصل التوابون إلى القبر الشريف، صاحوا صيحة واحدة: "يا حسين" أقام التوابون حول القبر يوماً وليلة يصلّون على الحسين، ويستغفرون له، ويبكون ويتضرعون، ويتوبون إلى الله من خذلانه[٩٥].

فما رؤي باجتماعهم هناك يوم أكثر باكياً منه، وهم يقولون معترفين بالذنب "يا ربّ: إنّا قد خذلنا ابن بنت نبيّنا، فاغفر لنا ما مضى، وتُب علينا، إنك انت التواب الرحيم، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قتلوا عليه، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين[٩٦].

ثم فارق التوابون قبر الحسين عليه السلام بعد ان جددوا عهداً به، وساروا يقدمهم رؤساؤهم نحو الشام، وعوف بن عبد الله بن الأحمر شاعر الثورة يرتجز بالجيش الزاحف:

خـــــرجن يلمعـــــن بنـــــا إرســـــالاً ... عوابســـــاً يحملننـــــا أبطـــــالا

يزيـــــد ان نلقـــــى بهـــــا الاقيـــــالا ... القاســـــطين الغـــــدر الضـــــلالا

وقـــــد رفضـــــنا الأهـــــل والأمـــــوالا ... والخفـــــرات البـــــيض والحجـــــالا

نرضـــــي بهـــــذا الـــــنعم المفضـــــالا[٩٧]

ويبدو ان هذه الثورة قد بلغت من النضج السياسي ذروته، إذ اتجهت بجيوشها المقاتلة نحو الشام، ولم تقصد أشخاص قتلة الحسين في الكوفة، فهي قد اعتبرت النظام الأموي هو

المطالب بدم الحسين، لا القتلة أنفسهم وسرعان ما انتهى نبأ هذا التحرك الضخم إلى مقرّ قيادة الحكم الأموي في الشام، وكان الحاكم مروان بن الحكم، فعبأ جيشاً جرّاراً يقدر بإثني عشر ألفاً[٩٨].

كان هذا الجيش بقيادة عبيد الله بن زياد، وقد أباح له مروان نهب الكوفة، واستباحتها ثلاثاً، إذ هو ظفر بأهلها، ويلتقى الجيشان "بعين الوردة" ويستميت التوابون في القتال، ويظهرون من الشجاعة والبسالة ما يعدّ مضرباً للمثل آنذاك، وتشتد المعركة ضراوة بين الجانبين، وينتهي القتال باستئصال التوابين، ويقتل قائدهم سليمان بن صرد الخزاعي، ولا ينجو منهم إلا القليل، فيتحملون في أول الليل عائدين من حيث أتوا إلى الكوفة[٩٩].

كانت نهاية هذه الثورة مفجعة حقاً، فقد أبيد قادتها وأفرادها إبادة تكاد تكون شاملة، وقد سفكت فيها الدماء بغزارة، وقد أرخى النظام فيها العنان لشهوة الانتقام، ونفذها تنفيذاً مأساوياً، وهذا شأن كل ما هو دخيل على الإسلام، وبعيد عن الأعراف العربية الأصيلة، ونلاحظ هنا ان هذه الثورة قد انبعثت عن شعور بالإثم والندم، وعم رغبة في التكفير، فمن يقرأ أقوالهم، وكتبهم، وخطبهم، يلمس فيها الشعور العميق بالاثم والندم، والرغبة الحارّة في التكفير، ولا يستهدفون شيئاً آخر وراء ذلك، فلا يريدون نصراً، ولا ملكاً، ولا مغانم، وإنما يريدون انتقاماً فقط، وقد خرجوا من ديارهم وهم على مثل اليقين بأنهم لا يرجعون اليها، كانوا يريدون أن يموتوا، ولقد بُذل لهم الأمان فلم يقبلوا، وإذن فلم يكن لهذه الثورة أهداف اجتماعية واضحة محددة لقد كان الهدف الواضح منها هو الانتقام والتكفير[١٠٠].

على ان لهذه الثورة هدفاً سياسياً محدداً، هو مقاومة الحكم الاموي متمثلاً بالنظام كله لا الاشخاص، وقد تم لها بالفعل إبداء روح الثورة، وزعزع أركان الحكم، واسماع صوت المعارضة بقعقعة اللجم، "ومهما تكن النتيجة التي انتهت اليها هذه الثورة، فإن الامر الذي لا شك فيه هم انها تعد أشد ثورة قام بها الشيعة منذ مقتل علي عليه السلام حتى ذلك الوقت، وأنها كشفت الرماد عن جذوة التشيع، وأشعلت فيها النار حتى ساعدت في النهاية على الاطاحة بحكم الامويين، كما انها كانت من ناحية أخرى تمهيداً لثورة شيعية خطيرة هي ثورة المختار الثقفي"[١٠١].

ولا ريب ان ثورة التوابين بما رافقها من اندفاع عاطفي مشبوب وشعور بالذنب

العظيم، كانت فاتحة لسلسلة من الثورات الدموية المتعاقبة ضد النظام الأموي، انتهت به في النهاية إلى مصير لا يحمد عليه إبادة واستئصالاً.

ثورة المختار:

دخلت سنة ست وستين للهجرة، فثار المختار بن أبي عبيدة الثقفي بالعراق وجعل شعار ثورته العارمة "يا لثارات الحسين".

وليس من شك في ان المختار كان رجلاً ذكياً إلى أبعد حدود الذكاء، وزعيماً شعبياً من الطراز الاول، وهب مقدرة خارقة للعادة على فهم نفسيات جماهيره واجتذابهم اليه، وقد أدرك منذ البداية ان الكوفة مهد الشيعة وموطنهم، هي التربة الخصبة لنشر بذور دعوته للأخذ بثأر الحسين، واستغل تلك العداوة التقليدية بين العراق والشام، ليضرب بأهل العراق أعداءهم من اهل الشام ضربة حاسمة تضع حداً لحكمهم"[١٠٢].

كان لثورة المختار دوافع كثيرة منها: المطالبة بدم الحسين وخاصة ان اهل العراق ولاسيما الكوفة والبصرة يعتصر الندم قلبهم على خذلان الحسين، كان المختار قد بايع واستضاف مسلم بن عقيل عندما قدم إلى الكوفة فسجنه عبيد الله بن زياد وبتوسط الخليفة يزيد أفرج عنه، فشلت حركة التوابين بقيادة الصحابي سليمان بن صرد، وهي حركة الشيعة الذين ندموا على قتل الحسين[١٠٣].

بالإضافة إلى ذلك رغبة المختار في رفع شأن الموالي، تنكيل المختار بقتلة الحسين، حصول المختار على مباركة محمد بن الحنفية ابن الامام علي عليه السلام من غير فاطمة، الاطماع الشخصية للمختار ليصبح نجماً يتداول اسمه العرب، يقول: "انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز ورأيت نجدة انتزى على اليمامة ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من رجالات العرب" وكذلك سوء معاملة ممثلي ابن الزبير للناس لمحمد بن الحنفية ولبني هاشم عامة[١٠٤].

انطلاق الثورة:

انطلقت ثورة "المختار" ليلة الأربعاء (١٣) ربيع الأول سنة "٦٦هـ" قبل موعدها بليلة ويوم، لأن الموعد كان هو ليلة الخميس وسبب ذلك[١٠٥]:

إن "ابراهيم الأشتر" سار في كتيبة تتكون من مائة شخص، يريد إتيان "المختار" فلقي "إيّاس بن مضارب" مدير الشرطة، فأراد حبسه عن ذلك لكن "ابن الأشتر" طعنه برمح فقتله وسار حتى وصل إلى المختار فأخبره بذلك ففرح المختار وقال[١٠٦]:

فبشرك الله بخير! فهذا طير صالح، وهذا أول الفتح ان شاء الله.

فلبس المختار سلاحه وهو يقول:

قد علمت بيضاء حسناء الطَّلل واضحة الخدَّين عجزاء الكفل

أتي غداة الرَّوع مقدام بطل[١٠٧].

نهض المختار في الكوفة، وبث فيها عيونه ورصده، وتتبع قتلة الحسين فرداً فرداً، وتعقبهم تحت كل حجر ومدر، وأبادهم فرادى ومجتمعين، ولم يبقِ منهم نافخ نار، حتى قتل منهم مائتين وثمانية وأربعين رجلاً في يوم واحد[١٠٨].

وما اكتفى المختار بتعقب قتلة الحسين بأعيانهم، حتى اتجه إلى النظام المسؤول عن قتل الحسين والذي مهّد لقتلة الحسين، فوجه بقائده الكبير ابراهيم بن مالك الاشتر نحو الشام، فالتقى بقوات عبد الملك بن مروان الحاكم الأموي آنذاك، وكانت بقيادة عبيد الله بن زياد، فأوقع بهم ابراهيم هزيمة منكرة شنعاء على ضفاف "نهر خازر" قرب الموصل[١٠٩].

لقد اتبع المختار سياسة العصر في قطع الرؤوس، فقد بعث برأس الطاغية عبيد الله بن زياد، ورأس عمر بن سعد قائد مذبحة كربلاء إلى الامام زين العابدين، وعهد إلى الرسول ان يضع الرؤوس بين يدي الامام، بعد الفراغ من صلاة الظهر، وهو الوقت الذي ادخل به رأس الامام الحسين على ابن زياد، فجاء الرسول إلى باب الامام وقد دخل الناس لتناول الطعام[١١٠]، فنادى[١١١]: "يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة، ومنزل الوحي، أنا رسول المختار ومعي رأس عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد...".

فلم تبق علوية في دور بني هاشم إلا صرخت...، ولما رأى الامام ذلك سجد لله شكراً وقال:

"الحمد لله الذي لم يمتني حتى أنجز ما وعد، وأدرك ثأري من عدوي..." ثم التفت الامام إلى الحاضرين وقال:

"سبحان الله!! ما اغّتر بالدنيا الا من ليس لله في عنقه نعمة، لقد أدخل رأس أبي عبد الله على ابن زياد، وهو يتغدى"(١١٢).

وما نتجت عنه ثورة المختار هو استقطاب جموع غفيرة من العراقيين حول ثورته من الناقمين على الأمويين وابن الزبير والطبقة الارستقراطية العراقية المحلية، ونجح قائد جيش المختار ابراهيم بن الأشتر النخعي (والده قائد جيش علي بن ابي طالب) على نهر النماذر وقتل فيها عبيد الله بن زياد وانهزم أهل الشام بالإضافة إلى ذلك قام المختار بعملية تطهير واسعة لقتلة الحسين ولم يشفع لهم ادعاؤهم بأنهم قاتلوا مكرهين، قال لهم: "يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة"(١١٣).

وكذلك أمر عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً والي البصرة بمهاجمة المختار في الكوفة والقضاء عليه وبعد حصار الكوفة لمدة أربعة أشهر قتل المختار وقتل أتباعه (٦٨٧م)، وبلغ عددهم ٧٠٠٠ وبينهم عبد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب وفشل ثورة المختار هي فشل لمطالب آل البيت في استرجاع مجدهم وكانت من أكثر الثورات تنظيماً ومهما يكن من أمر، فقد كانت ثورة المختار نهاية مأساوية مفجعة، بإجهاز مصعب بن الزبير عليها في جيش من أهل البصرة، على ان المختار ليس بصدد محاربة ابن الزبير وانما كلاهما يحاربان النظام الاموي فلقد كانت ثورة المختار ثورة شعبية عارمة، وكان دور الكوفة فيها خطيراً، فهم جذوتها وشرارتها ووقودها وهم ضحاياها أيضاً(١١٤).

ثورة عبد الله ابن الزبير:

بعد ان رفض عبد الله بن الزبير مبايعة يزيد خرج متخفياً إلى مكة يجمع حوله المؤيدين والانصار والدعاة سراً بمعزل عن الامام الحسين عليه السلام وكان يهدف من وراء ذلك ان تحين الفرصة للتخلص من الحسين عليه السلام لأنه يعتقد بأنه لا يدانيه في الفضل ولا في القرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله(١١٥).

ورغم عدم تظاهر ابن الزبير في هذا الأمر، إلا انه بدأ عمله الجد في هذا المجال سنة ٦٥هـ، إذ انه جمع حوله الاتباع، وبويع له في الحجاز والشام والعراق والجزيرة(١١٦).

اتخذ ابن الزبير من مكة قاعدة لحكمه، فعين منها الولاة، وبعث بالعمال، ونشط نشاطاً

دائباً في إدارة متطلبات الحكم، فقوي أمره نوعاً ما، فالحجاز بعامتها له، وأنصاره بالشام على موعد معه، والجزيرة تحت إمرته، والكوفة والبصرة في بيعته، واستوثقت له الامور في ظاهر الحال، ومهما قيل في دوافع ثورة ابن الزبير، فإنها شغلت الحكم الاموي، وبثت روح التمرد بين صفوف المسلمين، وهيأت الأفق لانتفاضات أكبر، دون ان يكون لحركة ابن الزبير أثر فيها من التوجيه السياسي والديني بالطبع(١١٧).

لقد جوبه عامل ابن الزبير على الكوفة عبد الله بن مطيع الذي اعلن انه سائر بسيرة عمر وعثمان في اجراءات اخرى تخص الفيء والخراج، جوبه من قبل الكوفيين بالاعتراض والمقابلة والرفض، واعلن ممثل الكوفة في رده: "أما حمل فيئنا برضانا، فأنا نشهد أنا لا نرضى أن يحمل عنّا فضله، وأن لا يقسم إلا فينا، وان لا يسار فينا إلا بسيرة علي بن ابي طالب التي سار بها في بلادنا هذه ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا وأنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطاب فينا وان كانت أهون السير تلك علينا)(١١٨).

ومن هذا يبدو ان ابن الزبير كان ينتزع فضل فيئهم، ويحملهم على سيرتي عمر وعثمان فيما يزعم، وأهل الكوفة يتوقعون سيرة علي - ويتمثلونها في الحرية والعدل والمساواة، وان مجتمعنا يدرك الفروق المميزة بين سيرة الخلفاء، وان طموحه مشرئباً إلى حركة ثورية تعيد له سيرة علي بن ابي طالب في كل معطياتها، وهو يتشبث لذلك بكل الوسائل التي تؤمن له هذا الأول، أو يلوّح له به في المستقبل(١١٩).

فإن ابن الزبير قد أخطأ خطأً فاحشاً حينما نصب العداء والبغضاء لآل علي وبني هاشم، حتى سجنهم واعتقلهم وحصرهم لولا تهديد المختار له بما هو مذكور عند المؤرخين، وقد كان الأحرى به ان يستميلهم في الأقل إلى جنبه ليكسب بهم المسلمين، أو ليظهر انه ممن تأثر بثورة الحسين وها هو يدني آله وأتباعه(١٢٠).

كما أخطأ ابن الزبير خطأً كبيراً في اتخاذه البيت الحرام مقراً له، فهو دون غيره يعلم بقسوة الأمويين، ولا يهمهم في سبيل الحكم الإقدام على كل عظيم، وكان قراره ذلك قد جعل البيت تهتك حرمته، ويباح ذمامه، إذ لم يقف النظام صامتاً باهتاً من ثورة ابن الزبير، بل حشد لها أعتى قواته، وداهمها بأشرس قواده، وقابلها دموياً بأفتك الجيوش(١٢١).

كما عمل النظام على رمي الكعبة بالمنجنيق وأطنان اللهب، وأحرق البيت الحرام وجعله ميدان حرب، حتى استطاع قتل ابن الزبير، ونكل بأصحابه تنكيلاً فظيعاً، وأطاح بثورته، وذهبت تتدحرج في خضم الأحداث، وكأنها لم تكن، ذلك ان أهدافها غير واضحة المعالم، ولم يكن لها شعار اصلاحي يكتب له الخلود فانتهت نهاية كئيبة محزنة، بعد ان استقطبت جمعاً من الناس، رجاء التغيير المرتقب الذي يحنّ اليه الناس، ولكنهم فوجؤوا بخيبة الامل الكبرى، إذ شككوا في دوافع ابن الزبير وتطلعاته السياسية(١٢٢).

لهذا فإننا نرى ان ثورة ابن الزبير قد أفادت التحرك الثوري مما أصله الحسين في ثورته، ولكنها ليست في ركاب ثورة الحسين في كل الاتجاهات السياسية والعقائدية والاقتصادية والاجتماعية، ولم تفد منها لمحاً في سجل الخلود التاريخي.

ثورة مطرف بن المغيرة:

في سنة ٧٧ للهجرة ثار مطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج بن يوسف الثقفي حيث كان من أعتى الولاة طغياناً وأجرأهم على سفك الدم الحرام، وأكثرهم جرائر وأفضعهم جرائم، وهو القائل عن نفسه: "فإني والله ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ على دم مني، ولقد ركبت أموراً هابها الناس، فأفرج لي بها"(١٢٣).

دخل الحجاج الكوفة، موطن الثورة على الحكم، فامتهن القسوة سلاحاً، وأسال الدماء، وهتك الاعراض حرمة، وهدم المنازل تأديباً واستهل سياسة الخرقاء متحدثاً على سيفه الدموي المشهور على رؤوس الأشهاد "ثم لا أغمده في شتاء ولا صيف، حتى يتم الله لأمير المؤمنين"(١٢٤).

واستن الأحكام العرفية، وأثار الفزع والرعب، وأعاد سيرة زياد بأبشع صورها وقتل على الشبهة، واشغل الكوفيين بحروب شبه دائمية، وسير الجيش إلى الأقاليم، وبعث بالجند إلى ما وراء الحدود، وكانت بطانته وحمايته من الجيش السوري المدرَّب على المهمات الصعبة، فابتعد عن الكوفة، لئلا يتأثر بحياة الكوفيين، وليجعله القوة الضاربة متى شاء ضد الكوفة والبصرة معاً، وبنى "واسط" وجعلها مقراً لإدارته العليا(١٢٥).

ثار مطرف بن المغيرة في وجه الحجاج وأعلن خلعه للخليفة الاموي عبد الملك بن

مروان وهي جرأة كبيرة لم تحدث من ذي قبل، أن عمد والٍ من ولاة الأمويين وابن والٍ لهم، إلى اعلان العصيان والتمرد عليهم ، ومهما يكن من أمر، فقد أعلن مطرف ثورته، ونشر دعوته، وأجابته إلى ذلك فئة غير قليلة من أصحابه، وخطب فيهم الخطاب الآتي:

"أما بعد: فإنَّ الله كتب الجهاد على خلقه، وأمرهم بالعدل والاحسان، وقال فيما أنزل علينا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١٢٦] اني اشهد الله أني خلعت عبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، فمن أحب منكم صحبتي، وكان على مثل رأيي، فليتابعني، فإن له الاسوة وحسن الصحبة ومن أبى فليذهب حيث شاء، فإني لست أُحب ان يتبعني من ليس له نية في جهاد أهل الجور أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، والى قتال الظلمة، فإذا جمع الله لنا أمرنا، كان هذا الامر شورى بين المسلمين، يرتضون لأنفسهم من أحبو...."[١٢٧].

كان هذا الخطاب لبيان الثورة الأولى وقد حدد فيه أموراً منها: اعلان الجهاد على الحكم الاموي، وخلعه لعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف الثقفي، ودعوته إلى كتاب وسنة نبيه، وقتال الظلمة، وجعل الأمر شورى بين المسلمين ان نصروا. وقد دعا في هذا الخطاب إلى الانضمام اليه دون إكراه بل طواعية فمن أحب ذلك من أصحابه فله به الأسوة وحسن الصحبة، لأنه لا يحب ان يتبعه من لا نية له في جهاد أهل الجور[١٢٨].

يبدو ان ابن المغيرة أراد التوسع في اطار ثورته، فكتب إلى سويد بن سرحان الثقفي وبكير بن هارون البجلي، كتاباً شرح فيه أهداف ثورته، وأوضح مسبباتها، وأفصح فيها عن رأيه النهائي، قال: "أما بعد فإننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه إلى جهاد من عَندَ عن الحق، واستأثر بالفيء، وترك حكم الكتاب، فإذا ظهر الحق، ومنع الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا، جعلنا الأمر شورى بين الأمة، يرتضي المسلمون لأنفسهم الرضا، فمن قبل منا كان أخانا في ديننا وولينا في محيانا ومماتنا، ومن ردّ ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه"[١٢٩].

ونهض مطرف بثورته، فقابلها النظام بقسوة بالغة، سفك بها الدماء، وقتل القادة، وأباد الاتباع، وقضى على الحركة في مهدها.

يقول الاستاذ الشيخ محمد مهدي شمس الدين:

"هذا هو نهج ثورة مطرف، وفيه عبير من روح كربلاء"(١٣٠).

ثورة ابن الأشعث:

كانت الكوفة موطناً لإرادة التغيير السياسي في الشرق ومعلماً للثورات الدامية على الحكم الاموي، فتثير سياسة الجماح الرهيبة فيها روح النضال من جديد فأعلن أحد زعمائها العسكريين والقبائليين، وهو عبد الحسن بن محمد بن الأشعث الثورة على النظام، ويخلع خليفة الشام عبد الملك بن مروان، ويخلع حاكم العراق الحجاج بن يوسف الثقفي سنة إحدى وثمانين من الهجرة(١٣١).

كان الحجاج قد أرسل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قائداً لجيش الطواويس بفتح اقليم سجستان، وقد تم له ذلك، حيث استولى بجيشه على تلك البلاد وكتب إلى الحجاج بانتصاراته العسكرية، وأنبأه انه هو وجيشه بازاء ترك التوغل في بلاد (رتبيل) حتى يعرفوا طريقها، فكتب اليه الحجاج يوبّخه على هذا القرار ويأمره بالتوغل في بلاد الأفغان(١٣٢).

أدرك ابن الأشعث ان هدف الحجاج وراء هذا الإصرار، هو اشغال الجيش بالحرب، وابعاد الكوفيين عن الميدان السياسي، فأقدم على معصية الأمر، وفضّل عدم إطاعة الحجاج، وبيت النيّة ان يثور بمن معه من الجيش على النظام، فعرض على جنوده كتاب الحجاج، وأظهر لهم مخالفته، وبين عزمه بقوله:

"إنما أنا رجل منكم، أمضي إذا مضيتم، وأبى إذا أبيتم".

فثار الناس وقالوا "نأبى على عدو الله، ولا نسمع له ولا نطيع"(١٣٣).

كان هذا أول الخلاف الذي أيده الجيش وأبى فيه إطاعة الحجاج بأوامره الصارمة فاغتنمها ابن الاشعث فرصة نادرة، واتجه نحو العراق بتطلعاته هذه، بعد ان خبر نيّات أصحابه، وفي طليعتهم: عامر بن وائل الكناني الصحابي المعروف بأبي الطفيل وعبد المؤمن ابن شبث بن ربعي، وهما زعيمان كوفيان.

أما أبو الطفيل، فقد عقّب على قرار ابن الاشعث بقوله خطيباً في الجيش الفاتح "أما

بعد فإن الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الأول: احمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك، وإن نجا فلك[١٣٤].

إن الحجاج ما يبالي ان يخاطر بكم، فيقحمكم بلاداً كثيرة، ويغشي اللهوب واللعوب فان غنمتم وظفرتم أكل البلاد وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم بكم، كنتم أنتم الاعداء الذين لا يبالي عنتهم اخلعوا عدو الله الحجاج، وبايعوا الأمير عبد الرحمن، فإني أشهدكم أني أول خالع".

فنادى الجيش من كل جانب: "فعلنا فعلنا، قد خلعنا عدو الله"[١٣٥].

وخطب عبد المؤمن بن شبث بن ربعي، فقال:

"عباد الله، انكم إن أطعتم الحجاج، جعل هذه البلاد بلادكم، وجمركم تجمير فرعون الجنود، ولن تعاينوا الأحبة، أو يموت أكثركم، فيما أرى، فبايعوا أميركم، وانصرفوا إلى عدوكم الحجاج، فأنفوه من بلادكم"[١٣٦].

وقد أثر هذه الخطابات في الجيش تأثيراً واعياً، إذ ضُرِبَ فيهما على وتر حساس لم يتخط ما في نفس الحجاج من تخطيط، ولم يبعد عما في نفس الجيش من أحاسيس فوثب الناس على ابن الاشعث فبايعوه على خلع الحجاج، وساروا ثائرين حتى إذا بلغوا فارس خلعوا عبد الملك بن مروان، واتجه الجيش نحو العراق، حتى إذا وصلوا البصرة، استقبلهم أهلها استقبالاً مثيراً، وبايع الأشعث فيها قراؤها وكهولها وشبابها، عربها ومواليها، فاجتمع له حينئذٍ جيش مدرّب جرّار، فتوجه بالجميع نحو الكوفة، واعتبرها مركز الثورة ضد الحكم الاموي، فدخلها وبايعه فيها الناس وذلك "لثقل وطأة الحجاج عليهم، ولم يبقَ من وجوههم وقرّائهم أحد له نباهة إلا خرج معه"[١٣٧].

فنهض ابن الأشعث بمن معه من الثائرين، وهم ألوف مؤلفة، يقدمهم أعشى همدان، سائراً بين الصفوف، ومحرضاً على قتال الحجاج برجزه الثائر:

لما سفونا للكفور الفتّان ... بالسيد الغطريف عبد الرحمن

سار بجمع كالدبى من قحطان ... ومن معدّ قد أتى ابن عدنان

أمكـــن ربي مـــن ثقيـــف همـــدان يومـاً إلى الليـل يُسـلي مـا كـان(١٣٨)

بدأت المعارك القوية بين العراقيين وجيش الحجاج من الشاميين لمدة ثلاث سنوات متوالية، سالت فيها الدماء كل مسيل، وكانت وقائع (دير الجماجم) أشدَّها، والتي رأى المؤرخون انها ثمانون وقعة(١٣٩).

وقد بالغ العراقيون في نصرة ابن الأشعث، استبسل الكوفيون بخاصة استبسالاً منقطع النظير، فقد هب قرّاؤهم وصلحاؤهم وزعماء قبائلهم لاسيما مذحج وهمدان وكندة إلى مساندة الثورة بالنفس والمال، لأنهم رأوا في ابن الاشعث منقذهم الوحيد في محنهم الصعاب، كما ان للتعصب القبلي أثره في الأمد باعتبار ابن الاشعث زعيماً قبائلياً ذا مركز مهم عند اليمانيين(١٤٠).

كانت خطب ابن الأشعث الثورية قد ألهبت مشاعر الكوفيين حماساً، محرضاً على الثورة، ومحفزاً على الانكار، وقال:

"ايها الناس، ألا تغضبون لله؟ ألا ترون ان السنة قد أميتت؟ والأحكام قد عطلت، والمنكر قد أعلن، والقتل قد فشا؟

اغضبوا لله وأخرجوا معي، فما يحلّ لكم السكوت!! ألا ترون هذا الجبار - يعني الحجاج - وما يصنع بالناس؟".

فلم يزل يدّن في الناس بهذا وشبهه حتى استجاب له القرّاء والعباد، وأوعدهم يوماً يخرجون فيه، فخرجوا على بكرة أبيهم واتبعهم الناس(١٤١).

والظاهر من أخبار القتال ابن عدد القراء كان كبيراً، فقد كانوا يألفون كتيبة مستقلة تعرف باسم "كتيبة القرّاء" قامت في القتال بدور خطير فقد اندفعوا فيه يقاتلون في عزم صادق وشجاعة فائقة "يحمل عليهم فلا يكادون يبرحون، ويحملون فلا يكذمون".

ولعل أكبر دليل على هذه الشجاعة الفائقة: ان الحجاج عبأ لكتيبة القرّاء ثلاث كتائب، فكانت هذه الكتائب تحمل عليها ثلاث حملات، كل كتيبة تحمل حملة، وكتيبة القرّاء لا تتراجع، ولا تتزحزح عن موقفها، وما نظن بعد هذه الشهامة التي صدرت عن أحد فرسان الشام الذين كانوا في الكتائب في حاجة إلى ان نذكر ما يقوله فلهاوزن: من ان القراء قاموا

في هذا القتال بدورهم أشد ما يكونون ايماناً وقوة"[١٤٢].

ولقد صدق العراقيون بعامة والكوفيون بخاصة القتال المرير وأمدوا ثورة ابن الاشعث بطاقات حيوية من القوة الضاربة منذ بدايتها حتى سقوطها وبعد معارك طاحنة، استمرت عدة سنين، استطاع الحجاج ان يقضي على هذه الثورة قضاءً دامياً، فقد زحف عليها بجيوش سورية مدرّبة تدريباً عسكرياً راقياً، وأسرف في سفك دماء المقاتلين اسرافاً فظيعاً وبالغ في قتل الأسرى، وضرب اعناقهم صبراً، وكانوا يعدون بالآلاف، وقد امتاز هذا الانتقام بيوم معين في ضرب الاعناق "وكان ذلك فعله يومه ذلك إلى الليل"[١٤٣].

حينما قمع الحجاج هذه الثورة مات ابن الاشعث منتحراً في أغلب الظن وذلك سنة أربع وثمانية أو خمس وثمانين من الهجرة وبالقضاء على ثورة ابن الاشعث ساد المناخ السياسي في العراق صمتٌ رهيب، وبقيت الروح الثورة مكتمة في الاعماق، حتى أوقد جذوتها زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام في ثورته على النظام في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان[١٤٤].

ثورة زيد بن علي:

كان القمع الدموي الذي انصبّ بغزارة على المشاركين في ثورة ابن الاشعث، داعية لخنق التحرك الثوري في المجتمع العراقي، وقد حصر نطاقه في حركات الخوارج وهي تقوم على شكل عصابات حيناً، فتقطع الطريق وتسفك الدماء، وكان هذا التحرك مصدر قلق للنظام الاموي، فكانت طبيعة المجتمع العراقي ترفض فكر الخوارج فلم تكن حركاتهم تلقى استجابة في صفوف الناس، وللخوارج تاريخ عريض ضد النظام الاموي إلا ان النهاية كانت طبيعية: القتل الذريع، الفناء الشامل، سمل العيون، قطع الأيدي، حرق المنازل والبيوت، شأنهم في هذا شأن المشاركين في الثورات السابقة[١٤٥].

يختلف الرواة في السبب الذي من أجله ثار زيد بن علي بن الحسين على الأمويين في الكوفة فيرى بعضهم ان خلافاً احتدم بين آل الحسين وآل الحسن على أحباس كانت لهما بالمدينة وان زيداً قد ذهب من أجل ذلك إلى هشام بن عبد الملك في دمشق وهناك سأله هشام عن الأموال التي كان قد ادعى يزيد بن المهلب انه قد أودعها لديه، وأمام إنكار زيد

لهم لم يجد الخليفة بداً من أن يأمره بالتوجه إلى الكوفة لمواجهة ابن المهلب أمام عاملها يوسف بن عمر، وفي الكوفة تشبث الشيعة بزيد وراحوا يلقون في روعه أنه المنصور وأن زمان زوال الحكم الأموي قد اقترب وان مائة ألف سيف سوف يكونون طوع يمينه حتى يعيد حق آل البيت إلى نصابه(١٤٦).

ويرى البعض الآخر ان زيداً إنما ثار لأن هشام قد أساء لقاءه وواجهه بما يكره فقد وصفه بأنه ابن أمه، وأن أمثاله لا يصلحون للخلافة، الأمر الذي أحنق زيداً وأثار من حفيظته وجعله يقسم بأنه لن يرى هشاماً بعد يومه هذا إلا والسيف بينه وبينه، وأخذ طريقه نحو الكوفة حيث أنصاره وأنصار آبائه من قبله(١٤٧).

فما ان أعلن زيد بن علي بن الحسين الثورة في الكوفة عام ١٢٢ من الهجرة ولبث فيها عشرة أشهر تزيد قليلاً أو تقل قليلاً يعد للثورة ويهيء رجاله لها، حتى انهال عليه المسلمون بالبيعة في كل من: الكوفة، البصرة، الموصل، واسط، الري، جرجان، خراسان(١٤٨).

هذه الاستجابة لزيد قد سبق لها إعداد قبل عام تقريباً، وكونه من أهل البيت جدد الاعتقاد للناس انه المنقذ الوحيد الذي يخرجون به من الجور إلى العدل، وكونه رجلاً ورعاً نقياً ففي الإمكان ان يتظلوا به من طغيان النظام، لاسيما في الكوفة التي كانت تحنّ إلى حكومة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام وقد وجدت في زيد وريثاً شرعياً لتلك الشخصية الفذة، فكان الاقبال على زيد كبيراً، والالتفاف حول قيادته فريداً، وكان شعار أنصاره: "يا أهل الكوفة: اخرجوا من الذلّ إلى العزّ، والى الدين والدنيا"(١٤٩).

والذي يحز في النفس حقاً، هذا الموقف المتقلب من اهل الكوفة، فقد اندفعوا وراء زيد اندفاعاً شديداً، ثم تخلوا عنه بصورة مذهلة، شأنهم في ذلك كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، فهم يسرجون الثورة وهم يخمدونها، ربما كان ذلك ناتجاً عن واقع الحياة السياسي الذي لم يكن بصالحهم، لا أحد يعلم بما يجري داخل تلك النفوس فهم شيعة أهل البيت وهم وقود الثورة الدائم، وهم شعلة الاصلاح المستمرة، فلماذا الاندفاع بكل ضراوة، ولماذا التخاذل عند الوثبة، لقد كان دقيقاً ما توصل اليه الاستاذ الدكتور يوسف خليف رحمه الله، فقال:

"ووقف أهل الكوفة – من ثورة زيد وسواها – موقفهم التقليدي: حماساً واندفاعاً أول الأمر، ثم تخاذلاً وتراجعاً في النهاية"(١٥٠).

لقد قامت ثورة زيد في الكوفة، فاشرأبت لها الأعناق، وعبأ لها الأمويون أفضل القادة والجنود للمقاومة والقضاء عليها؛ ووقف كلٌ على قارعة الحرب ينتهز الفرصة بالآخر، وحدث ما لم يكن بالحسبان، فقد اختل توقيت الثورة فيما يبدو وأعلنت قبيل أوانها، وبرز المقاتلون من الجانبين، ودارت رحى حرب طاحنة، وباشر زيد القتال بنفسه، فكان قتال الابطال(١٥١).

يقول الرواة ان يوسف بن عمر لم يكن يعرف عن أمر زيد ورجاله شيئاً حتى قبض على رجلين من الموالين له، الأمر الذي أعاد إلى ذاكرة التاريخ قصة مسلم بن عقيل وعبيد الله بن زياد، فإن زيداً قد عجل الخروج، واستبدل باليوم الذي كان قد ضربه له ليلة الاربعاء وهي الليلة الاولى من شهر صفر من العام الثاني والعشرين بعد المائة، ولم يخف نبأ هذا التعجيل عن الأمير وعلى الفور أمر باستدعاء أهل الكوفة وحبسهم في المسجد المجامع وغلق عليهم الأبواب وتولت قوة من أهل الشام حراستهم وجاء زيد في مائتين وثمانية عشر رجلاً لفض هذا الحصار وعبثاً حاول دعوة من بالمسجد إلى الخروج فإنهم كانوا قد جبنوا، ودب في قلوبهم الوهن(١٥٢).

وأمام القوة الشامية التي أقبلت لتعزيز الحراسة لم يجد زيداً بداً من الانسحاب واحتدمت المعركة بين رجال زيد القليلين وبين قوات اهل الشام الذين كانوا يبلغون ألفين أو يزيدون ليلة الاربعاء: ويوم الخميس، وصمد زيد ورجاله حتى أصابه سهم في جبهته نقل على أثره إلى بيوت رجاله، ولم يمهله الموت فقد فارق الحياة اثر انتزاع السهم منه، ومع ان الشيعة قد بالغوا في اخفاء قبره فإنه يوسف بن عمر ما لبث ان عثر عليه وصلبه وأرسل رأسه إلى دمشق. ويقول الرواة: ان هشام قد أمر بها فعلقت في المدينة وظلت مصلوبة هكذا حتى مات الخليفة(١٥٣).

لقد كانت ثورة زيد في عطائها الذي اقتدى بثورة الامام الحسين – فلئن قتل زيد، وفشلت ثورته، وصلب على جذع نخلة في كناسة الكوفة، وأُنزلت جثته بعد سنين فأحرقت، وذريت في الهواء، فقد أبقت الجذوة متقدة والشرارة ملتهبة، حيث ان ثورة زيد بن علي كانت فاتحة سلسلة طويلة من الثورات الشيعية التي أدت آخر الأمر إلى سقوط الأمويين(١٥٤).

فقد ثار من بعده وعلى نهجه ولده يحيى بن زيد الذي فرّ إلى خراسان بعد فشل ثورة أبيه، وهناك خرج بأنصاره أيام الوليد بن زيد، وأعلن ثورته، وحشّد النظام لها جيشه الضارب، وجرت الوقائع الدامية، وهي تنخر بعظام النظام، وانتهت الثورة كما هو المعتاد بالقتل والتمثيل والصلب، ولكن هذه النهاية لم تكن في صالح الدولة في النهاية، فلقد هزّت أركان الدولة هزاً عنيفاً، وقد فجر مقتل يحيى في الشعب روح الغضب والحزن معاً، وأظهر أهل خراسان النياحة على يحيى بن زيد سبعة أيام في سائر أعمالها، في حال أمنهم على أنفسهم من سلطان بني أمية ولم يولد في تلك السنة بخراسان مولود إلا سمي بيحيى أو بزيد، لما داخل اهل خراسان من الجزع والحزن عليه(١٥٥).

أشد من هذا خطراً على الدولة: ان أبا مسلم الخراساني - داعية بني العباس - قد عرف كيف يتخذ من مقتل يحيى بن زيد ورقة رابحة يلعب بها في تأليب الخراسانيين ضد الحكم الأموي، حين جعل من أهداف حركته المطالبة بدم يحيى، وقتل قتلته(١٥٦).

وقد ألهبت ثورة زيد بن علي مشاعر طالبي ثائر هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب، فأعلن ثورته على النظام في الكوفة سنة ١٢٧هـ وقاد المعركة ضد النظام الأموي، ولكنه - على عادة الكوفيين - خذل من قبل جملة من أصحابه ولكنه أيضاً استطاع ان ينهزم ببقيتهم إلى الجبل، ويدير حركته من هناك حتى انتهى به المطاف إلى خراسان(١٥٧).

وكان لثورته أثر عميق في تاريخ الدولة الاموية، فقد مضى بعد خذلانه في الكوفة خارجاً إلى الجبل يدعو لنفسه في الأقاليم الشرقية التي نزل بها حيث تقاطر عليه خلق كثير، والتف حوله جملة من الأنصار والمؤيدين فنعم بالسلطان حيناً وجعل مقره للحكم أصفهان، ثم تركه إلى اصطخر، وبسط سلطانه على الولايات المجاورة: خوزستان وفارس وكرمان، حتى انتهى به المطاف أخيراً إلى خراسان(١٥٨).

كانما كانت حركته هذه التي حدثت قبيل زوال الحكم الأموي بسنوات تعد على أصابع اليد الواحدة، إرهاصاً لسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، فما إن حلّت سنة ١٣٢هـ حتى زحفت الرايات السود من المشرق نحو الكوفة ومنها إلى الشام لتشيّع وإلى الأبد الحكم الأموي في المغرب فلولا ثورة الحسين لكان الإسلام مجرد طقوس جافة لا تنبض

بالحياة، ولفقد الدين الحنيف روحيته الخالدة ولقبع نظامه في ظل البدع والمستحدثات التي يريدها الحاكمون، ولأصبح كتاب الله مهجوراً[١٥٩].

ولولا ثورة الحسين عليه السلام لبقي الشعب المسلم يرزح تحت نير كبير من الذل والعبودية والشعور بالامتهان والازراء، ولأخفيت القداسة على الظالمين باعتبارهم القادة الذين يحكمون بأسم الله، وإن خالفوا كتاب الله، وظلموا عباد الله ونازعوا الله بردائه في الكبرياء والآلاء، ولألصقت صفة العبيد على الشعوب[١٦٠].

نتائج البحث:

لقد أفرزت ثورة الامام الحسين عليه السلام جملة من التداعيات على مختلف الجوانب ومنها الجانبين السياسي والفكري، كان في مقدمتها ان الامام الحسين - خرج لطلب الاصلاح لا من أجل مكسب دنيوي وكان في ثورته رسالة لكل الأحرار في العالم وفي مختلف الأزمنة بأن لا يسلطوا عليهم الحاكم الفاسق الذي يخرجهم من دين الإسلام الداعي إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد كانت ثورة الإمام الحسين - مقدمة لاشعال فتيل الثورات والحركات التي استهدفت هز عرش الطغاة ومن بينها ثورة المختار وثورة المدينة وحركة التوابين وثورة عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب، وكشفت ثورة الامام الحسين - عن زيف انتماء يزيد واسرته للإسلام عندما أنكر نزول الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وآله، إذ قال يزيد من بين ما قاله: ((لعبت هاشم بالمُلك فلا خبر جاء ولا وحي نزل)).

وأثبتت ثورة الامام الحسين - وبما لا يقبل الشك حقد آل أمية على الرسول محمد)ص)وذريته وذلك من خلال تعامل يزيد مع عائلة الامام الحسين - على انهم سبايا.

وأوضحت تقصير وغدر أهل الكوفة في حينه بالإمام الحسين وما يثبت ذلك هو ندم الكثير منهم وسمّوا بالتوابين الذين ثاروا ضد الدولة الأموية.

هوامش البحث

(١) المعجم الوسيط، مجمع النهضة العربية، منشورات ناصر خسرو، (طهران - د.ت)، ج١، باب الثاء.
(٢) طالب، جواد حسن، الدليل الثقافي، منشورات دار التراث للطباعة والنشر والتوزيع (البصرة - د.ت)، ص٣٠.
(٣)وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، د.م، د.ت، ج٢، ٧٧٦.
(٤) البصري، ابو مصعب، الأمويون وثورة الامام الحسين عليه السلام، مؤسسة الفكر الاسلامي، (هولندا - ٢٠٠١م)، ص١٠.
(٥) ابن الاثير، عز الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ج٤،٤٨، المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، مؤسسة الخرسان للمطبوعات، (بيروت - ٢٠٠٥م)، ص١٨٩.
(٦) المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، مؤسسة الخرسان، (بيروت-٢٠٠٥)،ص٢٤.
(٧) أمين، أحمد، ضحى الاسلام، ط١ (القاهرة - ١٩٧٦)، ج١،٢٧.
(٨) المقرم، المصدر نفسه، ص٢٤.
(٩) ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، ط١ (بيروت - ١٩٦٨)، ص٢٥٤.
(١٠) نقلاً عن الروض الباسم للوزير اليماني، ج٢،٣٦.
(١١) النجوم الزاهرة، ج١،١٦٣.
(١٢) الزجاجي، الأمالي، المطبعة المحمودية (مصر - د.ت)، ص٤٥.
(١٣) الفروع، مطبعة المنار، ١٣٤٥هـ، ج٣،٥٤٨ باب قتال أهل البغي.
(١٤) المحلي، ج١١، ص٩٨ نقلا عن، المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص٢٩.
(١٥) نيل الأوطار، ج٧، ص١٤٧.
(١٦) ملحم، طاهر حسن، الاسلام دين وتمدين، مؤسسة النوري، ط١ (دمشق - ١٩٩٤)، ص٧٠.
(١٧) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف اسعد داغر، (بيروت - ١٩٦٥)، ج، ص٢٤٠.
(١٨) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص٣١٧.
(١٩) ملحم، الاسلام دين وتمدين، ص٧٨.
(٢٠) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، ج٤، ص٣٣٠.
(٢١) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٣١.
(٢٢) الصغير، محمد حسين علي، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، مؤسسة التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٣-٢٠٠٢م، ص١١٠.

(٢٣) المجمع العلمي لأهل البيت، سلسلة أعلام الهداية (الامام الحسين سيد الشهداء) تصحيح ابن عاشور، مطبعة الاميرة الخضراء، بيروت ١٤٢٦هـ،٢٠٠م، ص٢٠٩.
(٢٤) البصري، ابو مصعب، الامويون وثورة الامام الحسين عليه السلام، مطبعة دار ابن ابي مبهود الاحساني، ط١، ٢٠٠١م، ص٣١٨.
(٢٥) القرشي، باقر شريف، حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام، ط٣، مطبعة الآداب، (النجف - ١٣٩٢هـ)، ج٣، ص٤٤٠.
(٢٦) المجمع العلمي لأهل البيت، سلسلة اعلام الهداية، ص٣٠٠ (الامام الحسين سيد الشهداء)، ص٣٠٠.
(٢٧) القرشي، حياة الامام الحسين عليه السلام، ج٣، ص٣٤١.
(٢٨) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ص٣٨٨.
(٢٩) زيور، مصطفى، في النفس، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ١٩٨٦، ص١٥.
(٣٠) المرجع نفسه، ص١١١.
(٣١) المجمع العلمي لأهل البيت، المصدر السابق، ص٢١٢.
(٣٢) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٢٨٣-٢٨٥.
(٣٣) المصدر نفسه، ص٢٨٣-٢٨٥.
(٣٤) المصدر نفسه، ص٢٨٥.
(٣٥) الاصبهاني، ابو الفرج، مقاتل الطالبين، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف،١٩٥٦م، ص٣٨٨.
(٣٦) المصدر نفسه، ص٣٨٨.
(٣٧) المجمع العلمي لأهل البيت، المصدر السابق، ص٣٠٠.
(٣٨) شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط٦، ١٤٠١هـ،١٩٨١م، ص٢٥٦.
(٣٩) غنيم، عبد العزيز، الثورات العلوية في العصر الاموي، القاهرة، ١٩٧٦، ط١، ص١٨٨.
(٤٠) المجمع العلمي لأهل البيت، سلسلة اعلام الهداية (الامام الحسين سيد الشهداء)، ص٣٥٠.
(٤١) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ص٢٥٨.
(٤٢) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت: ٢٧٩هـ) أنساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف بمصر،القاهرة،١٩٥٩م، ج٥، ص١٠٥.
(٤٣) البلاذري، المصدر السابق، ص١٠٦.
(٤٤) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ص٢٦٠.
(٤٥) البلاذري، أنساب الاشراف، ص١٠٩.
(٤٦) الصغير، الامام الحسين عملا الفكر الثوري، ص٣٤٣.
(٤٧) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ص٢٥٢.

(٤٨) المصدر نفسه، ص٢٥٣.
(٤٩) الدينوري، احمد بن داود (ت٢٩٠هـ)، الاخبار الطوال، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٤٩م، ص٣٤٥.
(٥٠) البلاذري، انساب الاشراف، ص٩٥.
(٥١) الدينوري، المصدر السابق، ص٢٧٥.
(٥٢) يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، دار الكاتب العربي،القاهرة،١٩٦٨م، ص٣٧٧.
(٥٣) البلاذري، انساب الاشراف، ج٥، ص٩٣.
(٥٤) ابن الاثير، أبو الحسن، علي بن ابي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر،بيروت،٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ص٢٥٠.
(٥٥) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٣٤٧.
(٥٦) البصري، ابو مصعب، الامويون وثورة الامام الحسين، ص١٩١.
(٥٧) احمد امين (الدكتور)، ضحى الاسلام، ١٩٣٣م، ج٣،ص٣٠٤.
(٥٨) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٣٥.
(٥٩) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٣،ص٣٢.
(٦٠) العاملي، محسن الأمين الحسيني (ت ١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، مطبعة الانصاف بيروت، ١٣٦٧-١٩٤٨م،٤، ص٣٧١.
(٦١) العاملي؛ المصدر نفسه، ص٣٧١.
(٦٢) المرزباني، أبو عبد الله، محمد بن عمران بن موسى (ت٣٨٤هـ)، معجم الشعراء، دار احياء الكتب العربية،القاهرة،١٩٦٠، ص١٢٦-١٢٧.
(٦٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٩٣.
(٦٤) العاملي ؛المصدر السابق،، ص٣٧٥.
(٦٥) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٣٥٥.
(٦٦) العاملي، محسن الامين الحسيني (ت١٣٧١هـ)، الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء، ص٥٨-٥٩.
(٦٧) العاملي، الدر النضيد، ص٦٠.
(٦٨) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٣٥٩.
(٦٩) غنيم، عبد العزيز، الثورات العلوية، ص٢٥٠.
(٧٠) البصري، الأمويون وثورة الامام الحسين، ص١٩٥.
(٧١) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ص٢٦٨.
(٧٢) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٢٨٠.
(٧٣) محمد مهدي شمس الدين، المرجع نفسه، ص٢٦٨.

(٧٤) جعفر النقدي، زينب الكبرى، ط النجف، ص١٢٠-١٢٢.
(٧٥) الصغير، المرجع نفسه، ص٢٨٣.
(٧٦) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٤، ص٣٦٦-٣٨١.
(٧٧) الطبري، المصدر نفسه، ص٣٦٦-٣٨١.
(٧٨) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ص٢٧٠.
(٧٩) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٣٦-٣٨١.
(٨٠) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص١٠٥.
(٨١) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص٣٨٦.
(٨٢) الصغير، محمد حسين علي، ص٢٨٤.
(٨٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٤، ص٤٢٦.
(٨٤) البلاذري، انساب الاشراف، ص٢٠٤.
(٨٥) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٢٨.
(٨٦) المصدر نفسه، ص٤٢٩.
(٨٧) سورة البقرة آية ٥٤.
(٨٨) الطبري، المصدر نفسه، ص٤٣٠.
(٨٩) الصغير، محمد حسين علي، ص٢٨٧.
(٩٠) البلاذري، انساب الاشراف، ص٢٠٧.
(٩١) المسعودي، ابو الحسن، علي بن الحسين المسعودي البغدادي (ت ٣٤٦هـ)، التنبيه والاشراف، تصحيح: عبد الله الصاوي، دار الصاوي،القاهرة،١٩٣٨هـ، ص٣٠٦.
(٩٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٤، ص٤٤٠.
(٩٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٣٢.
(٩٤) المسعودي، المصدر نفسه، ص٣٠٦.
(٩٥) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٤٩.
(٩٦) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها السياسية، ص٢٠٧.
(٩٧) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٩٤.
(٩٨) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٤، ص٤٥٠.
(٩٩) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣١١.
(١٠٠) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ص٢٠٨.
(١٠١) يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، ص٧٣.
(١٠٢) يوسف خليف، المصدر نفسه، ص٧٥.

(١٠٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص١٠٦.
(١٠٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ص٢٤٠.
(١٠٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، دار التراث "بيروت"، ص٢٠.
(١٠٦) المصدر نفسه، ص٢٠.
(١٠٧) عبد الله، سليم، مع المختار الثقفي، دار الثقلين، (بيروت - لبنان)، ط١، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م، ص١٠٩.
(١٠٨) البلاذري، انساب الاشراف، ج٥، ص٢٣٧.
(١٠٩) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٤، ص٥٦٢.
(١١٠) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٧٠.
(١١١) غنيم، الثورات العلوية في العصر الاموي، ص٢٥٣.
(١١٢) القرشي، باقر شريف، حياة الامام زين العابدين، ج٢، (دار الاضواء - بيروت)، ١٩٩٠م، ص٤٠٠.
(١١٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ص٢٤٠.
(١١٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٩٠.
(١١٥) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٤، ص٣٦٤.
(١١٦) المصدر نفسه، ص٣٨٨.
(١١٧) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ص٢٢٩.
(١١٨) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٥، ص٢٢٠.
(١١٩) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٢٩٦.
(١٢٠) الصغير، المصدر السابق، ص٢٩٧.
(١٢١) شمس الدين، ثورة الحسين وظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ص٣٠٠.
(١٢٢) الصغير، المصدر السابق، ص٢٩٧.
(١٢٣) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ص٢٧٦.
(١٢٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١٠٥.
(١٢٥) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٣١١.
(١٢٦) سورة المائدة آية ٢.
(١٢٧) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٤، ص٤٠.
(١٢٨) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٠٤.
(١٢٩) المصدر نفسه، ص٤٠٥.
(١٣٠) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها وآثارها الانسانية، ص٢١٨.
(١٣١) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٣١٦.
(١٣٢) غنيم، الثورات العلوية في العصر الأموي، ص٢٧٨.

(١٣٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ص٣٠٦.
(١٣٤) الاصبهاني، ابو الفرج، علي بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق مصطفى السقا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦١م، ج٦، ص٣٥.
(١٣٥) الطبري، المصدر نفسه، ص٧٠٠.
(١٣٦) المصدر نفسه، ص٧٠٢.
(١٣٧) الاصبهاني، الاغاني، ج٦، ص٤٥.
(١٣٨) المصدر نفسه، ص٥٩.
(١٣٩) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣١٥.
(١٤٠) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٣١٩.
(١٤١) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٣٢٢.
(١٤٢) يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، ص٨٦.
(١٤٣) المصدر نفسه، ص٩٠.
(١٤٤) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣١٤.
(١٤٥) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٣٢٣.
(١٤٦) غنيم، الثورات العلوية في العصر الأموي، ص٣١٩.
(١٤٧) المصدر نفسه، ص٤٢٠.
(١٤٨) القرشي، حياة الامام زين العابدين، ص٤٠٥.
(١٤٩) الاصبهاني، مقاتل الطالبين، ص١٣٩.
(١٥٠) يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، ص٩٣.
(١٥١) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ص٢٢٦.
(١٥٢) غنيم، الثورات العلوية في العصر الاموي، ص٣٢٠.
(١٥٣) غنيم ؛المرجع السابق، ص٣٥٠.
(١٥٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١٤٥.
(١٥٥) المصدر نفسه، ص١٤٧.
(١٥٦) الاصبهاني، مقاتل الطالبين، ص١٦٨ ؛ الاغاني، ص٤١١.
(١٥٧)الاصبهاني، المصدر نفسه، ص١٦٨ ؛ الاغاني، ص٤١١.
(١٥٨) الصغير، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٣٢٧.
(١٥٩) شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ص٢٢١.
(١٦٠) المرجع نفسه، ص٢٢٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- خير ما نبتدأ به القرآن الكريم.
- ابن الاثير، عز الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت - ١٩٧٤).
- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، ط١، (بيروت - ١٩٦٨).
- الاصبهاني، ابو الفرج، مقاتل الطالبين، المطبعة الحيدرية، (النجف - ١٩٥٦).
- البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الاشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، (مصر - ١٩٥٩).
- الدينوري، احمد بن داود (ت ٢٩٠هـ)، الاخبار الطوال، مطبعة السعادة، (مصر - ١٩٤٩).
- الزجاجي، الأمالي، المطبعة المحمودية، (مصر - د.ت).
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، (مصر - ١٩٧٣).
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، منشورات ناصر خسرو، (طهران - د.ت).
- المزرباني، محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ)، معجم الشعراء، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة - ١٩٦٠).
- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعارف الجوهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، (بيروت - ١٩٦٥)؛ التنبيه والاشراف، تصحيح عبد الله الصاوي، (القاهرة - ١٩٣٨).

ثانياً: المراجع.

- أمين، احمد، ضحى الإسلام، ط١، (القاهرة - ١٩٧٦).
- البصري، ابو مصعب، الامويون وثورة الامام الحسين -، مؤسسة الفكر الإسلامي، (هولندا - ٢٠٠١).
- خليف، يوسف، حياة الشعر في الكوفة، دار الكاتب العربي، (القاهرة - ١٩٦٨).
- شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الامام الحسين - ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت - ١٩٨١م).

- الصغير، محمد حسين (الدكتور)، الامام الحسين - عملاق الفكر الثوري، مؤسسة التعارف، ط١، (بيروت - ٢٠٠٢م).

- طالب، جواد حسن، الدليل الثقافي، منشورات دار التراث، (البصرة - د.ت).

- العاملي، محسن الامين، الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد، مطبعة الانصاف، (بيروت - ١٩٤٨م).

- اعيان الشيعة؛ مطبعة الانصاف؛ بيروت - ١٩٤٨/١٣٦٧م.

- عبد الله سليم، مع المختار الثقفي في ثورته، دار الثقلين، (بيروت - ١٩٩٦م).

- غنيم، عبد العزيز، الثورات العلوية في العصر الأموي، (القاهرة - ١٩٧٦م).

- القرشي، باقر شريف (الشيخ)، حياة الامام الحسين -، مطبعة الآداب، (النجف - ١٣٩٢هـ).

- المجمع العلمي لأهل البيت، اعلام الهداية (الامام الحسين سيد الشهداء)، مطبعة الأمين، (بيروت - ٢٠٠٥م).

- المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين -، مؤسسة الخرسان، (بيروت - ٢٠٠٥م).

- ملحم، طاهر حسن، الإسلام دين وتمدين، مؤسسة النوري، ط١، (دمشق - ١٩٩٤).

- النقدي، جعفر، زينب الكبرى، ط النجف - د.ت.

- وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، د.م، د.ت.